
٤٠
ملف المستقبل
روايات
مصرية للجيب
علامات الخوف
Looloo
www.dvd4arab.com

ملف المستقبل

سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

المؤلف



د. نبيل فاروق

علامات الخوف

- كيف يمكن لبشر عاقل أن يعبد شيطانًا ؟
- ما سرُّ تلك العلامات العجيبة ، التى تثير الخوف فى قلوب الجميع ؟
- تُرى .. هل ينجح (نور) وفريقه فى هزيمة عبدة الشيطان ، أم تحطمهم علامات الخوف ؟
- إقرأ التفاصيل المثيرة .. واشترك مع (نور) فى حل اللُّغز .

٤٠

الثمن فى مصر

وما يعادل دولارا أمريكيا فى سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

العدد القادم : مملكة النار



١ ـ الخوف ..

ارتفعت دقّات ساعة الحائط الذرّية الأنيقة ، فى منزل والد الرائد (نور) ، تعلن تمام منتصف الليل ، فنهض (نور) من مقعده ، فى منتصف الرّدهة ، وقال وهو يتثاءب :

ـ أعتقد أن الوقت قد حان للانصراف يا أبتاه .

ضمّت والـدة (نور) (نشوى) الصغيرة ابنتـه إلى صدرها ، وقالت فى حنان ، وهى تتأمّل الصغيرة ، التى راحت فى نوم عميق وهى بين ذراعيها :

ـ لِمَ لا تقضى أنت وزوجتك ، وابنتك الليـل معنـا يا (نور) ؟.. إننا قلّما ننعم بزيارتكم .

تذكّر (نور) ، مع كلمات والدتـه ، اتصالات القائد الأعلى للمخابرات العلمية به ، فى أيّة لحظة من الليل ، أو النهار ، ووسائل الاتصال السّريّة ، التى تتبدّل باستمرار ، وضرورة تواجده فى مكان معروف طوال الوقت ، ولكنه لم يشرح هذا لوالدته ، وإنما ابتسم ، وقال فى هدوء :

— ربَّما فيما بعد يا أمَّاه ؛ فأنا لم أتعافَ بعد من إصاباتى فى مهمة سابقة(*)

ابتسم والده ، وكأنه يفهم مبرِّرات ابنه ، التى لم ينطق بها ، وقال :

— أعتقد أنك على حقٍّ يا ولدى .

التقط (نور) سترته الجلدية ، واستعد لارتدائها ، على حين تثاءبت (سلوى) فى كسل ، ومدَّت يدها تأخذ ابنتها (نشوى) من بين ذراعى والدة (نور) ، عندما ارتفع فى المكان فجأة صوت أزيز متصل ، فاستدارت إلى (نور) ، وغمغمت فى ضيق :

— لا .. ليس الآن .

هزَّ (نور) كتفيه ، على حين أطلق والده ضحكة عالية ، وقال :

— ليس الأمر كما تتصوَّرين يا بنيَّتى ، إنه أزيز جهاز البريد الآلى .. يبدو أننا نتلقَّى رسالة فى منتصف الليل .

التقت عيون الجميع عند جهاز البريد الآلى ، الذى يقبع

(*) راجع قصة (الثلوج الساخنة) .. المغامرة رقم (٣٩)

ساكنًا فى ركن الرَّدهة ، وتعلَّقت أبصارهم بالرسالة ، التى بدأت تظهر من تجويف شريطى صغير فى قمَّته ، وابتسم (نور) وهو يقول :

— يبدو أنها رسالة عاجلة للغاية يا والدى ، حتى تصل بعد منتصف الليل هكذا .

ابتسم الوالد ابتسامة باهتة ، تنمّ عن قلقه ، ولهفته لمعرفة فحوى الرسالة ، ثم اقترب بخطوات سريعة من جهاز البريد الآلى ، والتقط الرسالة ، ورفعها إلى عينيه فى اهتمام واضح ..

لم يخفَ على الجميع ذلك الشحوب الشديد ، الذى اعترى وجه الوالد ، وهو يتطلَّع إلى الرسالة ، ولا عيناه اللَّتان اتسعتا فى ذُعر ، ولا ملامحه التى تفجَّر فيها الخوف دفعة واحدة ، وخُيِّل إليهم لحظة أنه ترنَّح فى مكانه ، ولم يلبث تخيُّلهم هذا أن أضحى واقعًا ، حتى أن (نور) أسرع يحتضن والده بين ذراعيه ، وهو يهتف فى قلق :

— ماذا حدث ؟.. ماذا تحوى هذه الرسالة اللعينة ؟

تطلَّع الوالد إلى ابنه فى خوف ، بدا لـ (نور) مثيرًا للدهشة ، وغمغم وهو يخفى الرسالة خلف ظهره :

— لا شىء يا ولدى .. لا شىء .. أعتقد أن ضغط دمى قد انخفض فجأة ، فأصابنى بعض الدُّوار و ....

لم يتم عبارته ، ولم يطلب منه أحدهم إتمامها ، وإن ظهر الشك واضحًا فى ملامحهم ، وعيونهم ، وشحب وجه الأم بدورها ، على حين تبادلت (سلوى) نظرة غامضة مع زوجها ، الذى ظلَّ يتأمَّل فى ملامح والده لحظة ، دون أن تغيب عنه محاولته إخفاء الخطاب ، ثم لم يلبث أن غمغم فى هدوء :

ـــ نعم يا والدى .. أعتقد أن الأمر كذلك .

حاول الوالد أن يبتسم ، إلَّا أن ابتسامته جاءت شاحبة كوجهه ، وهو يقول :

ـــ لقد تعافيت يا ولدى .. لا داعى لبقائكم هنا ، أنت وزوجتك وابنتك ، يمكنكم العودة إلى منزلكم ، كما كنتم تعتزمون .

ظلَّ (نور) صامتًا لحظة ، ثم ابتسم فى هدوء ، وقال :

ـــ لست أدرى يا والدى ، أعتقد أننى أشعر ببعض التكاسل .

ازداد شحوب الأب ، وهو يسأل فى قلق :

ـــ ماذا تعنى ؟

أجابه (نور) فى هدوء ، لا يخلو من الحزم :

ـــ أعنى أننا سننفذ رغبة والدى ، وسنقضى الليل هنا يا أبتاه .

* * *

أرقدت (سلوى) ابنتها (نشوى) فوق السرير الصغير ، فى حجرة (نور) المتواضعة بمنزل والديه ، ثم التفتت إليه ، وقالت فى قلق :

ـــ ماذا تفعل يا (نور) ؟

أجابها وهو يضغط زرًّا صغيرًا فى ركن ساعته ، ضغطات متوالية منتظمة :

ـــ إننى أخبر الإدارة عن موقعى ، حتى يسهل الاتصال بى عند الحاجة يا (سلوى) .

لزمت (سلوى) الصمت ، حتى انتهى (نور) من إرسال رسالته الشفريَّة ، ثم قالت وهى تلمحه ينزع قرصًا أسطوانيًّا صغيرًا من حزامه :

ـــ فيمَ تنوى استخدام جهاز التصنُّت الصغير هذا ؟

أجابها وهو يثبِّت القرص الصغير ، على الحائط الذى يفصل حجرته عن حجرة والديه :

ـــ كما ترين يا عزيزتى .. سأحاول سماع ما يقوله والدى .

صاحت (سلوى) فى حنق :

ـــ هذا منافٍ لقواعد اللّياقة يا (نور) .

أجابها وهو يدير القرص فى هدوء :

ـــ دَعينا من ذلك يا عزيزتى .. لقد تلقَّى أبى رسالة ، أثارت فى أعماقه خوفًا شديدًا ، لم أعهده فيه من قبل ، وهو يرفض إخبارنا بما تحويه ، وليس أمامى من وسيلة سوى ذلك .

قالت فى غضب :

ـــ ربما كان يفضّل الاحتفاظ بالأمر سرًّا .

هزّ كتفيه فى لامبالاة ، وقال :

ـــ أنت لا تعرفين والدى يا (سلوى) .. انه رجل صلب كالفولاذ ،ولقد كان فيما مضى واحدًا من أشهر رجال الشُّرطة فى مصر ، وإذا ماأثار شىء ما كل هذا الخوف فى أعماقه ، فهو ولا شك شىء خطير للغاية .. ثم إننا لن نخسر شيئًا ، فلو أنه يفضّل الاحتفاظ بالأمر سرًّا ، فلن يطلع والدى عليه ، ولن ينقل جهاز التصنُّت شيئًا .

أرادت (سلوى) أن تعترض مرة ثانية ، ولكن صوت الوالد ، الذى بدأ يظهر واضحًا فى الحجرة ، عَبْر جهاز التصنُّت ، جذب انتباهها فى شدة ، ودفعها فضولها الأنثوى إلى الإصغاء فى اهتمام . وهى تستمع إلى الوالد يقول لزوجته :

ـــ لم أتصوَّر قطّ أن تعود تلك الأمور مرّة ثانية ، لقد ظننت يومًا أننى قضيت على الزمرة بأكملها .

أجابته الوالدة فى توتُّر :

ـــ ولكن ماذا يريدون ؟

قال الوالد فى حِدَّة ، شفَّت عن عصبيَّة :

ـــ ماذا تتوقَّعين من شياطين مثلهم ؟.. إنهم ينشدون مصرعنا ولا شك .

هتفت الوالدة فى رعب :

ـــ يا إلٰهى !!.. بعد كل هذه السنوات ؟

ساد الصمت لحظة ، ثم قال الوالد فى قلق :

ـــ يبدو أنهم خالدون كما يدعون .. ما زلت أذكر كلمات كبيرهم ، وهو يتوعَّدنى يوم قبضت عليه بالانتقام ، وبتدمير أسرتى كلها .

صاحت الأم فى فزع :

ـــ كلها ؟!!.. هل تعنى أنه يقصد (نور) أيضًا ؟

صاح الوالد :

ـــ بل (نور) ، و (سلوى) ، وربما (نشوى) الصغيرة أيضًا .. إنهم قوم لا أخلاق لهم ، ولا يتورَّعون عن ارتكاب أبشع الموبقات ، وهذا هو مبعث خوف

شحب وجه (سلوى) ، وهى تلقى نظرة مليئة بالرعب على ابنتها النائمة ، على حين واصل (نور) إصغاءه لكلمات والده ، الذى أردف فى حنق :

ـ إنهم حتى لم يرسلوا كلمة واحدة .. كل ما فعلوه هو أن أرسلوا علامتهم البشعة .. انظرى .

ندّت من فم والدة (نور) صيحة ، تجمع ما بين الذُعر والقلق والاشمئزاز ، وهى تهتف :

ـ يا إلهى !!

وهنا رفع (نور) عينيه إلى (سلوى) ، وقال فى حزم وصرامة :

ـ لم يعد هناك مجال للتردُّد يا (سلوى) .. سنتدخل فى الأمر ، مهما كانت ردود فعل والدى .

ثم أردف بعد وهلة من الصمت :

ـ مهما كان الثمن يا (سلوى) .

* * *

٢ ـ الشياطين ..

حملت تلك الليلة إيقاعًا بطيئًا للغاية ، فى نفسى (نور) و (سلوى) ، على الرغم من أن أحدهما لم يتبادل كلمة واحدة مع الآخر ، ولم يغلق أيهما عينيه . وقد عصفت بهما دوّامة من الأفكار العميقة . المليئة بالقلق والحَيْرة والتوتُّر ، وتعلّق بصراهما بضوء القمر ، الذى يطلّ من النافذة المفتوحة ..

كان كل منهما يسبح فى محاولة تفسير كلمات الأب الغامضة ، عن تلك المجموعة الشيطانية ، التى تتهدّده بالموت هو وأسرته كلها ..

وفجأة .. مسّت (سلوى) راحة (نور) بأناملها ، وهمست فى خوف :

ـ (نور) .. هل تسمع هذا الحفيف ؟

لم يجبها (نور) ، فقد كانت حواسه كلها تصغى إلى ذلك الحفيف ، الذى انبعث فجأة من خارج النافذة ، وكأن شيئًا ما يزحف على الجدار الخارجى للمنزل ..



تسمَّر (نور) فى مكانه ، وهو يحدِّق فى الظِّلِّ البشع ،
الذى بدا له أشبه بخفَّاش ضخم ، يفرد جناحه عن آخرهما ..

كان الصوت يرتفع حثيثًا ، على نحو مثير للتوتُّـر ، فهمس (نور) ، وهو يبذل جهدًا خارقًا للحفاظ على نبرات صوته الهادئة :

— رُوَيدك يا عزيزتى .. لعله طائر ليلى أو .....

بدت كلماته غير مقنعة .. حتى بالنسبة إليه نفسه ، فنهض من فراشه فى هدوء ، واقترب على أطراف أصابعه من النافذة المفتوحة ، دون أن يزيد حرفًا واحدًا ، فى حين ظل الحفيف يتصاعد فى سرعة ، مثيرًا مزيدًا من التوتُّر والقلق ..

وفجأة .. قفز ظل ضخم إلى حافة النافذة ..

ظلٌّ داكن .. حالك السواد ..

ظلٌّ مرعب مخيف ..

تسمَّر (نور) فى مكانه ، وهو يحدِّق فى الظِّلِّ البشع ، الذى بدا له أشبه بخفَّاش ضخم ، يفرد جناحيه عن آخرهما ، فى حين أطلقت (سلوى) صرخة مكتومة ، وهى تلتقط ابنتها ، وتضمها إلى صدرها فى خوف ، وقد اتسعت عيناها عن آخرهما ، وارتسم الرُّعب بأقصى ملامحه على وجهها ..

ساد سكون عجيب فى اللحظة التى تلت ذلك ، ثم اندفع (نور) فجأة نحو الظل البشع ، واندفع الظل نحوه ، وأطلقت (سلوى) صرخة مدوِّية ..

* * *

قفز (نور) نحو الظلّ الأسود البشع ، غير مميَّز الملامح ، وهو يحاول التغلُّب على خوف وهميّ نشب فى أعماقه ، ودون أن يحدِّد هدفًا بالذات ، أطلق قبضته نحو الظلّ ، ولكن قبضته غاصت فى شيء رخو ، له ملمس ناعم عجيب ..

وقبل أن يبحث عقله عن كنه هذا الشيء ، أصابت فكّه لكمة قوية ، جعلت رأسه يدور ، فغاص بجسده إلى أسفل بصورة غريزية دفاعية ، ثم انتصب موجِّهًا لكمة أخرى إلى ذلك الظل .. وفى هذه المرة أصابت لكمته جسمًا صلبًا ، وأعقب ذلك ضربة قوية أصابت معدة (نور) ، ودفعت به إلى الوراء بضع خطوات ، حيث ارتطم بقائم السرير ، فتعثَّر ، وسقط على ظهره فوق الفراش ..

ولم يكد (نور) يحاول النهوض مرة أخرى ، حتى بدا له وكأن الظل قد نما فجأة ، وارتجّت جدران الحجرة بصدى ضحكة شيطانية عجيبة ، تجمَّدت لها الدمـاء فى عروق (نور) و (سلوى) ، وفى اللحظة نفسها ، اقتحم والد (نور) الحجرة ، وهتف فى توتّر بالغ :

ـــ ماذا حدث ؟

وفى حركة سريعة ، امتدت يده إلى زرّ الإنارة ، وسطع الضوء

فى الحجرة ، وانطلقت صيحة رُعب هائلة من حنجرة (سلوى) ، أيقظت ابنتها ، التى أطلقت بدورها صرخة فزع طفولية ، وهى تحدّق فى الوجه البشع ، ذِى القرنين الصغيرين ، الذى يتطلّع إلى الجميع بعينين حمراوين ، يطلّ منهما بريق شيطانى مخيف .. كان وجه الشيطان نفسه ، كما وصفته الأساطير القديمة .

* * *

استغرق تأمُّل الوجه البشع لحظة واحدة لا غير ، اندفع بعدها ذلك المخلوق المتَّشح بالسواد إلى النافذة ، وقفز منها فى رشاقة عجيبة ، واختفى وسط حديقة المنزل .. وفى سرعة مذهلة ، قفز (نور) واقفًا على قدميه ، واندفع إلى النافذة ، وقفز منها خلف المخلوق الأسود ..

صرخت (سلوى) ، وهى تضم ابنتها الصغيرة ، التى انخرطت فى بكاء عنيف :

ـــ ماذا يحدث ؟.. ماذا يحدث ؟..

بدا لها والد (نور) لحظة ، وكأنه قد تحوّل إلى تمثال من الشمع الشاحب ، قبل أن ينتفض كمن يفيق من حلم مفزع ، والتفت إليها صائحًا :

— هل أصابك مكروه يا بنيّتى ؟.. هل أصاب الصغيرة شىء ؟

هتفت (سلوى) فى حنق :

— باستثناء الرعب الهائل ، لم تصب إحدانا بسوء يا أبى ، ولكنك تدين لنا بتفسير .

أحنى الوالد رأسه فى ألم واستسلام ، وغمغم :

— أنت على حقٍّ يا بنيّتى .. أنت على حقّ .

لم يكد يتم عبارته ، التى تحمل يأسًا عنيفًا ، حتى برز (نور) على باب الحجرة وهو يلهث ، ويقول فى حنق :

— لقد فقدت أثره .. تبخّر وكأنه مصنوع من الدخان .

ثم رفع قبضته أمام وجه والده . وأردف :

— كل ما عثرت عليه هو هذا .

كان يحمل فى يده ورقة سوداء ، رسم فى منتصفها وجه يجمع ما بين ملامح الإنسان والجدى ، بذقنه المدبّبة ، وعينيه الواسعتين ، والقرنين اللامعين فى قمة رأسه ..

لقد كان وجه الشيطان ..

وبدا الرُّعب هائلًا قويًا ، على وجه الوالد ، وهو يتطلّع إلى الرسم البشع ، ثم حجب وجهه بكفّيه ، وقال فيما يشبه الانهيار :

— يا إلهى !!.. إنهم هم .. إنها حقيقة إذن !!

اقترب (نور) من والده ، دون أن يلتفت إلى والدته ، التى وقفت شاحبة ، وقبضتها المضمومة تغطّى موضع القلب من صدرها ، وقال فى حزم عجيب :

— أعتقد أن الوقت قد حان لشرح الأمر يا والدى .

ساد الصمت لحظة ، وبدا وكأن الوالد لم يسمع كلمة واحدة ، مما نطق به (نور) ، الذى عاد يقول فى حزم :

— أبى .

رفع الوالد عينيه إلى ولده فى بطء ، ولمح (نور) دمعة تترقرق فى العينين ، حينما قال والده فى استسلام :

— نعم يا ولدى .. نعم يا (نور) .. حان الوقت لتعلم كل شىء .

ثم أشار إلى الورقة ، وأردف فى صوت مرتجف :

— إننا هذه المرة نحارب الشيطان .. الشيطان نفسه يا ولدى .

* * *

٣ ـ عشرون عامًا ..

« كان ذلك منذ عشرين عامًا »

بدأ والد (نور) قصته بهذه العبارة ، ثم صمت ، وأطرق برأسه أرضًا ، وكأنه يحاول استعادة تلك الذكرى القديمة ، قبل أن يردف قائلًا :

ـ كنت ـ يومئذ ـ أحمل رتبة مقدم فى المباحث الجنائية المصرية ، حينما بدأت أغرب سلسلة جرائم فى تاريخ مصر .. سلسلة من حوادث قتل غامضة ، يسقط ضحيتها رجال دين ، ورجال دين فقط .

أصغى (نور) و (سلوى) فى اهتمام ، على حين تنهد الوالد ، قبل أن يتابع قائلًا :

ـ فى البداية تصوَّرنا أن الأمر يعود إلى بعض الجماعات الدينية المتطرِّفة ، ولكن هذا لم يفسِّر لنا سرَّ وجود شعار يحمل وجه الشيطان ، فى مسرح كل جريمة من الجرائم التى سادها الغموض ، وبدأت أنا أحاول إيجاد علاقة بين الضحايا ، وكان

هذا عسيرًا للغاية .. صحيح أن كلًّا منهم كان رجل دين ، ولكن الواحد منهم لم يكن يعرف الآخرين ، بل كان أحدهم رجل دين إسلامى ، والآخر مسيحى ، والثالث يهودى ، ولم تكن هناك فئة تعادى كل الأديان على هذا النحو .

صمت الوالد لحظة ليلتقط أنفاسه ، ثم استطرد :

ـ لن أخوض فى سرد التفاصيل الدقيقة للأمر ، ولكننى كشفت بمحض الصُّدفة ، وجود ذلك الشعار البشع ، الذى يحمل وجه الشيطان ، مطرَّزًا على جيب سترة أحد كبار رجال الأعمال ، مما دفعنى إلى مراقبته فى إصرار ، وقد أصبحت واثقًا من انتمائه ، على نحو أو آخر ، للمسئولين عن هذه الجرائم .. وبعد شهر كامل من المراقبة ، قادنى تتبُّع رجل الأعمال هذا إلى جبل (عتاقة) بالسويس ، وهناك توصَّلت إلى حل لغز جرائم قتل رجال الدين .

أخفى وجهه بكفَّيه ، وغمغم فى صوت مرتجف :

ـ وياله من كشف !!

زفر فى قوة ، وكأنه يحاول التغلُّب على انفعاله ، ثم استطرد :

ـ كان هناك كهف فى الجانب الشمالى من الجبل ، وهذا الكهف يقود إلى ممرٍّ طويل ، فى نهايته بهو واسع ضخم ، ذو

جدران عالية ، وسقف مرتفع ، بداخله عشرة رجال ، من مشاهير المجتمع — فى ذلك الحين — يرتدون جميعًا أردية سوداء داكنة ، ولقد كانوا يسجدون ..

صمت ، وتأمل ملامحهم لحظة ، ثم استطرد فى صوت عميق مرتعد :

— يسجدون للشيطان .

اتسعت عينا (نور) فى ذهول ، وأطرقت أمه فى صمت أليم ، على حين شهقت (سلوى) ، وغمغمت فى شحوب :

— الشيطان ؟!

بدا صوت الوالد شديد الانفعال ، وهو يقول :



— نعم .. الشيطان .. لقد كان هناك بنفسه .

أطلقت (سلوى) صرخة مكتومة من فرط ذعرها ، على حين هتف (نور) فى ذهول :

— كان هناك ؟!.. ماذا تعنى يا أبتاه ؟

لوَّح الوالد بذراعيه فى انفعال ، وقال :

— كان يجلس فوق نحت صخرى يشبه عروش الرومان القدماء ، وكان يتطلَّع إليهم بوجهه البشع ، ذى القرنين ، فى رداء حالك السواد ، كخفاش ضخم و ....

قاطعه (نور) فى دهشة :

— يا إلهى !!.. هل تعنى أن ذلك الذى هاجمنا هو ....

جاء دور الوالد ليقاطعه هذه المرة ، هاتفًا :

— إنه يشبهه كثيرًا ، ولكن الوجه يختلف بعض الشىء ، وكذلك الثوب .

غمغمت (سلوى) فى خوف :

— حتى الشيطان يتطوَّر .

استمع (نور) إلى عبارتها فى شرود ، ثم قال :

— ماذا حدث بعد ذلك يا والدى ؟

كان الوالد يلهث من فرط انفعاله ، وهو يقول :

ـــ شعروا بوجودى فجأة ، وكأن قوة خارقة قادتهم إلى ذلك ، واستداروا نحوى ، والشرّ يطلّ من عيونهم ، وانتزع كل منهم من نطاقه خنجرًا عجيب الشكل ، واندفعوا إلى حيث أقف ، وهم يطلقون صيحات جنونية مفزعة ..

ارتجف جسده ارتجافة واضحة ، وهو يستطرد بابتسامة شاحبة :

ـــ كنا فى ذلك الحين مازلنا نستخدم المسدسات ، ذات الرصاصات المعدنية ، التى لم يعد جيلكم يذكرها ، بعد انتشار مسدسات اللّيزر ، فى مطلع القرن الحادى والعشرين .. وكنت أحمل مسدسًا ، ذا تسع رصاصات ، فأسرعت ألتقطـــه من سترتى ، وأطلقت عليهم النار ، ولكن اضطرابى البالغ أضاع منّى أربع رصاصات ، فى حين أصابت خمس أهدافهـــا ، وأصبحت أواجه خمسة رجال مسلحين بالخناجر ، وأنا أعزل مضطرب .

اتسعت ابتسامته الشاحبة ، وهو يتابع :

ـــ مزّق خنجر أوّلهم سترتى ، وغاص الثانى فى ذراعى حتى نفذ من الجانب الآخر ، ولكن غريزة البقاء ولّدت فى أعماق قوة عجيبة ، ووجدت نفسى أدافع عن حياتى فى شراسة ، لم أعهدها فى نفسى من قبل ، فهشّمت فك أحدهم بقبضتى ، وحطّمت أنف الثانى ، ثم انتزعت خنجر الثالث ، وأغمدته فى قلبه ..

ظهر الامتعاض على وجه (نور) ، فهو ـــ بطبعه ـــ يكره العنف بكل صوره ، ولاحظ والده انفعاله ، فهزّ رأسه ، وقال فى ألم :

ـــ أنا أيضًا أكره العنف يا ولدى ، ولكنّ القضية ـــ فى تلك اللحظة ـــ كانت قضية اختيار .. فإما حياتى أو حياتهم .. لم يكن هناك بديل .

ساد صمت ثقيل لحظة ، ثم تابع الوالد قائلًا :

ـــ وأخيرًا .. وجدت نفسى أواجه رجلين لا غير ، وكان علىّ أن أواجههما بذراع واحدة ، فقد كانت الأخرى تنزف فى غزارة ، وتورثنى آلامًا رهيبة ، فتراجعت حتى التصق ظهرى بالحائط ، واستعددت لمواجهتهما ، وهما يقتربان منّى فى وحشية وجنون .. وفجأة .. وقعت عيناى على عينى ذلك الشيطان .. كانتا فى هذه اللحظة تومضان ببريق أحمر مخيف ، وهو ينظر إلىّ فى سخرية عجيبة .. وهنا شملتنى رجفة مخيفة ، وكدت أفقد صوابى من شدة الفزع .

تنهّد فى قوة ، ثم استطرد :

ـــ شرد عقلى لحظة ، ثم استعدت صوابى ، حينما شعرت بألم رهيب فى معدتى .. كان أحد الرجلين قد أغمد خنجره فى بطنى ، ومادت بى الأرض ، ولكننى هشَّمت فكّه بلكمة قوية ، تابعت بعدها قبضتى طريقها ، لتحطِّم عنق الآخر ، الذى هوَى أرضًا ، وبذل جهدًا خارقًا لاستنشاق الهواء ، ولكن الموت كان أسبق إليه من أنفاسه ..

شعر (نور) بعضلات وجهه تتوتَّر ، فهو يكره سماع كل هذا القدر من الأعمال العنيفة ، القاتلة ، ولكنه كبت مشاعره ، وواصل استماعه إلى والده ، الذى واصل حديثه قائلًا :

ـــ لم أكد انتهى من التغلُّب على آخر رجل منهم ، حتى كان ذلك الشيطان قد اختفى ، وكنت أنا أنزف دمى كالطوفان .. فزحفت فى صعوبة ، عَبْر الممر الطويل ، حتى مدخل الكهف ، وهناك فقدت الوعى تمامًا ، ولم أستعده إلا فى المستشفى ، حيث أخبرنى زميل لى أنهم اقتحموا الكهف ، وألقوا القبض على الجميع ، وفى المحاكمة كنت أنا الشاهد الوحيد فى القضية .. قضية محاكمة عبدة الشيطان ، التى كانت قضية الموسم فى مصر ـــ فى ذلك الحين ـــ وبشهادتى وحدها صدر الحكم على

رجال الأعمال الأربعة ، الذين بقوا على قيد الحياة بالإعدام شنقًا ، بتهمة قتل رجال الدين .

ساد الصمت مرة أخرى ، ثم استطرد الوالد فى شرود :

ـــ ومن العجيب أن الأربعة تلقوا حكم الإعدام فى برود عجيب ، بل إن أحدهم أطلق ضحكة شيطانية ، ما زال صداها يتردَّد فى أذنىّ حتى الآن .. وقبل أن يتم نقلهم إلى السجن ، تمهيدًا لتنفيذ الحكم ، تطلَّع أحدهم بنظرات باردة مخيفة ، وقال فى صوت جهورىّ قوىّ : « الشيطان يبقى ما دامت الحياة أيها المقدَّم .. أنت الذى سيذهب .. إننا سنعود ، وسننتقم ، سنبيد أسرتك عن آخرها » ، ثم أردف تهديده بضحكة شيطانية جنونية رهيبة .

كان الرُّعب قد بلغ من (سلوى) مبلغه ، وهى تستمع إلى الوالد ، وضمت ابنتها إلى صدرها فى قوة ، ولكن رعبها لم يمنعها من الإصغاء بكل حواسها إلى الوالد ، الذى واصل فى صوت متخاذل ، وكأن الذكرى تؤلمه :

ـــ تعمَّدت ـــ وقتئذ ـــ أن أحضر تنفيذ الحكم بنفسى ، ورأيت أكبرهم يصعد إلى حبل المشنقة غير مبال ، ورأيت ابتسامته ، التى ارتجف لها جسدى ، وهو يطلق ضحكة ساخرة ، ظلت تتردَّد فى غرفة الإعدام ، حتى لفظ أنفاسه الأخيرة .

انتهى الوالد من قصته ، وساد صمت طويل ثقيل ..

ثقيل حتى أن الجميع شعروا به يضغط على صدورهم ، ويعوق أنفاسهم ، حتى قطعه (نور) قائلًا فى هدوء عجيب :

ـــ هل عادوا بعد عشرين عامًا ، لينتقموا ؟

رفع إليه الوالد عينيه ، وأجاب فى ألم :

ـــ هذا ما يبدوا واضحًا يا بنىّ .

ابتسم (نور) ، وقال :

ـــ نعم يا والدى .. وهذا ما يؤكد لى أنه هناك هدف آخر ، وراء كل ذلك .

ثم عقد حاجبيه ، وأردف فى صرامة :

ـــ أعتقد أن المخابرات العلمية المصرية ستتولّى هذه المهمة يا والدى .

* * *



٤ ـــ فى مواجهة الشرّ ..

انطلقت سيارة (نور) الصاروخية ، فى الطريق إلى جبل (عتاقة) ، يقودها زميله (رمزى) ، وإلى جواره (محمود) .. فى حين استرخى (نور) فى المقعد الخلفى ، إلى جوار (سلوى) ، وقد انهمك فى مطالعة عدد من الأوراق ، جذبت انتباهه حتى الذّروة ، إلى أن سأله (رمزى) فى هدوء :

ـــ هل عثرت على ما تبحث عنه أيها القائد ؟

رفع (نور) عينيه عن الأوراق ، وتنهّد قبل أن يقول :

ـــ ليس بعد يا (رمزى) ، وإن أدهشنى ما قرأت عن عبادة الشيطان هذه .

ثم أزاح الأوراق ، واعتدل مردفًا :

ـــ فى كل العصور ، كان هناك دائمًا من يعبدون الشيطان ، من دون الله (عز وجل) .. وحجّتهم فى هذا مثيرة للدهشة ، فهم يقولون : إن الله غفور رحيم ، يغفر الكثير لعباده ، ولمن دونهم من خلقه ، أما الشيطان فهو قاسٍ عنيف ،

لا يرحم ؛ لذا فهم يعبدونه خوفًا من شروره ، ومن إيذائه لهم .. وستجد عَبْر التاريخ فترات انتشرت فيها هذه العبادة الكافرة ، مثل العصور الرومانية القديمة ، والإغريقية ، وفترة ازدهار الحضارة الأمريكية ، فى النصف الثانى من القرن العشرين .

غمغم (محمود) فى أسف :

ـ كم تدهشنى هذه العبادة !!.. كيف يعبد البشر مخلوقًا حتى ولو كان الشيطان نفسه ؟

هزَّ (نور) كتفيه ، وقال :

ـ إنه أمر يشبه عبادة الأوثان يا (محمود) ، ولابد أن نعترف بوجوده .. صحيح أنه أمر غير شائع الوجود فى الشرق الأوسط ، ولكنه موجود ، وربما نحن لا نشعر بوجوده .

صمت لحظة ، ثم استطرد :

ـ وأنا أعتقد فى الواقع أن كل اللصوص ، والمجرمين ، والخونة ، والمرتشين ، إنما هم عبدة للشيطان .. وإن لم يتخذ أمر عبادتهم صورة مادية صريحة ، كالقضية التى نحن بصددها .

ساد الصمت بعض الوقت ، ثم قالت (سلوى) فى صوت خافت ، وكأنها تخشى الإفصاح عن رأيها :

ـ هل تعتقد أن ذلك الشىء البشع ، الذى رأيناه فى منزل والدك ، كان .. كان ....

ترددت فى إتمام عبارتها ، فأكملها (نور) قائلًا :

ـ هل تقصدين أنه كان الشيطان نفسه يا عزيزتى ؟

تلفتت حولها ، وكأنها تخشى أن يكون هناك من يستمع إليها ، ثم همست فى خوف :

ـ هذا ما أعنيه يا (نور) .

هزَّ (نور) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ لا يا عزيزتى .. إننى لا أعتقد ذلك أبدًا .

ثم ابتسم فى سخرية ، وقال :

ـ وإلّا كنت أنا الرجل الذى هزم الشيطان .

سألته فى توتر :

ـ من تظنه إذن ؟

يبدو أن هذا السؤال أثار انتباه (رمزى) و (محمود) أيضًا ، فقد ظهر الاهتمام على ملامحهما ، و (نور) يقول :

ـ لقد فكرت فى هذا الاحتمال بالفعل ، خاصة عندما تذكرت لكمتى ، التى أصابت فى البداية جسمًا رخوًا ، وآثار أقدام الماعز ، التى وجدتها فى حديقة منزل والدى ، و ....

قاطعته (سلوى) فى دهشة :

ــ آثار أقدام الماعز ؟!.. إنك لم تخبرنى عن هذا من قبل يا (نور) .

ارتسمت ابتسامة خجلى على شفتى (نور) ، وغمغم :

ــ لم أشأ أن أثير مزيدًا من فزعك يا عزيزتى .

ثم استعاد صوته قوته ، وهو يستطرد :

ــ لقد فكَّرتُ فى هذا الاحتمال ، ولكننى وجدت تفسيرًا منطقيًا لكل ما حدث .. فذلك الشىء الرَّخو الذى ارتطم بقبضتى ، لم يكن سوى تلك العباءة المخمليَّة ، التى كان يرتديها ذلك المدَّعى .. وآثار أقدام الماعز يمكن افتعالها بحذاء خاص ، أما الشعار ، فقد نشرته كل صحف مصر فى ذلك الحين ، الذى حدثت فيه القضية ، ومن السهل افتعاله .

قالت (سلوى) فى عناد :

ــ وتلك الضحكة الشيطانية ؟

هزَّ كتفيه ، وأجابها فى بساطة :

ــ أجهزة تجسيم الصوت يمكنها أن تفعل ما هو أكثر من ذلك يا (سلوى) .

ظهر الشك على ملامحها ، وهى تمطّ شفتيها ، فأردف قائلًا :

ــ على الجانب الآخر من الأمر ، هناك نقاط أخرى ، تنفى كون مهاجمنا هو الشيطان نفسه ، منها مثلًا فراره من مقاتلتى ، مما يتنافى وقدرة معبود خطير ، ثم ملامحه وزيّه ..

قاطعته (سلوى) مرة ثانية :

ــ لقد قال والدك : إن ملامحه وزيّه هى نفسها ...

قاطعها (نور) بدوره ، قائلًا :

ــ مهلًا يا عزيزتى ، لقد قال : إنها تشبه بعض الشىء ، مع اختلافات واضحة .

سأله (رمزى) :

ــ وماذا يعنى هذا ؟

أجابه (نور) فى سرعة :

ــ يعنى أن الملامح والزِّى مجرَّد تقليد لوصف أدلى به والدى فى أقواله ، منذ عشرين عامًا يا رفاق .

ساد الصمت بعد تعليق (نور) ، وانطلقت السيارة نحو مدخل مدينة (السويس) ، و (رمزى) يقودها عاقدًا حاجبيه ، مفكرًا فى كلمات (نور) ، الذى هتف فجأة :

ــ يا إلهى !!.. توقَّف يا (رمزى) .

ضغط (رمزى) (فرامل) السيارة بحركة غريزية ، فاندفعت من أسفلها وسادة من الهواء المضغوط ، رفعتها عن

الأرض بضعة سنتيمترات ، قبل أن تدور حول نفسها ، وتتوقَّف تمامًا ، فى حين هتف (محمود) و (سلوى) فى آن واحد :

ـــ ماذا حدث ؟

صاح (نور) فى (رمزى) ، دون أن يجيب تساؤلهما :

ـــ عُد إلى الوراء يا (رمزى) .

أطاع (رمزى) الأمر ، وهو يفكِّر فيما دعا (نور) إلى ذلك ، حتى سمع (نور) يقول :

ـــ كفَى .. توقَّف هنا .

أوقف (رمزى) السيارة ، والتفت إلى (نور) ، الذى أشار بسبَّابته إلى نقطة على جانب الطريق ، وقال فى هدوء :

ـــ هذا هو ما أوقفنى يا رفاق .

تطلَّع الجميع إلى حيث أشار (نور) ، وتفجَّر الذهول فى ملامحهم .. فهناك على جانب الطريق ، كانت ترتفع لافتة قديمة ، زحف إليها البلى ، تحمل نفس الوجه الشيطانى البشع ، وأسفلها بخطوط عريضة قديمة كتبت عبارة « ملهى الشيطان الليلى يرحب بكم فى جبل عتاقة بالسويس » .

وفى هدوء عجيب ، قال (نور) :

ـــ يبدو أن مواجهة الشر أقرب إلينا مما نتصوَّر يا رفاق .

وفى أعماقهم ، انبعثت رعدة الخوف .

* * *

٥ ـــ الشيطان الأول ..

توقَّفت سيارة (نور) أمام ملهى الشيطان الليلى ، فى جبل عتاقة ، وتطلَّع الجميع فى دهشة إلى اللافتة الضخمة ، التى تزين مدخل كهف من كهوف الجبل ، والتى تحمل اسم الملهى بحروف ضوئية كبيرة ، وفوقها رسم بشع ، يمثل نفس الوجه الذى كان يحمله المهاجم المجهول ، وتلفَّتت (سلوى) حولها وهى تغمغم فى اشمئزاز :

ـــ يا له من اسم عجيب لملهى ليلى !! إنه يشوِّه جمال تلك المنطقة السياحية الأنيقة .

هبط الجميع من السيارة ، وتوجَّهوا فى صمت إلى مدخل الملهى ، وعبرُوا ممرًّا طويلًا ، قبل أن يصلوا إلى قاعة الملهى العالية الجدران ، والسقف ، والتى حوَّلتها الديكورات الحديثة إلى مكان فخم للغاية ، استقبلهم فيه رجل بدين ، تطلَّع إليهم فى هدوء ، وقال :

ـــ العمل لم يبدأ بعد أيها السَّادة .. وسيشرفنا استقبالكم فى الثامنة مساءً .

أجابه (نور) فى برود :
ــ لسنا من رواد تلك الأماكن الموبوءة يا رجل .. لقد حضرنا لمقابلة صاحب هذا المكان .
ظهر الغضب على وجه البدين لحظة ، ثم أجاب فى استهتار واضح :
ــ السيِّد (طارق) لا يحضر إلا فى السابعة .
سأله (نور) فى صرامة :
ــ وأين نجده الآن ؟
تجاهل البدين سؤال (نور) ، وتشاغل فى ترتيب بعض الموائد ، مما دفع (نور) إلى تكرار سؤاله فى حزم ، وبصوت بارد قاسٍ ، جعل الرجل يلتفت إليه فى دهشة ، ويسأله فى عصبيَّة واضحة :
ــ من أنتم .. وماذا تريدون ؟
أبرز (نور) من سترته بطاقة مميَّزة ، رفعها أمام عينى البدين ، وهو يقول فى خشونة :
ــ الرائد (نور) من المخابرات العلمية .. ونحن هنا فى عمل رسمى .
امتقع وجه الرجل ، وهو يتطلَّع إلى البطاقة ، ثم أدار عينيه إلى (نور) ، وغمغم فى تلعثم وارتباك :

ــ إننا نعمل بترخيص رسمى منذ عشرين عامًا ، وكل أوراقنا كاملة و ....
قاطعه (نور) فى برود :
ــ أين (طارق) هذا ؟
أجابه فجأة صوت بارد :
ــ هنا أيها الرائد .
استدار أفراد الفريق إلى مصدر الصوت ، فطالعهم رجل رياضى القوام ، وسيم الملامح ، على الرغم من رأسه الأصلع ، تنمّ قسماتِ وجهه أنه تجاوز الأربعين بسنوات قليلة ، على الرغم من الشيب الذى وخط فَوْدَيْه ، وبدا شديد الهدوء ، وهو يستطرد :
ــ أنا (طارق عثمان) .. صاحب ومدير هذا الملهى .. ماذا تريدون ؟
اقترب منه (نور) ، وسأله :
ــ منذ متى تملك هذا المكان ؟
أجابه (طارق) فى لهجة ساخرة :
ــ لقد سمعت (شوق) يقول منذ عشرين عامًا .
أشار (نور) إلى رسم لوجه الشيطان يتصدَّر المكان ، وقال :

ـــ ولماذا وقع اختيارك على هذا الرسم ، والاسم ؟

ابتسم (طارق) فى سخرية ، وقال :

ـــ أعتقد أن القانون يكفل لى اختيار الرسم والاسم ، بمحض إرادتى ، ثم إنهما يجذبان عددًا كبيرًا من الشباب والسُّيّاح .

ساد الصمت لحظة ، تبادل فيها (نور) نظرة صارمة مع (طارق) ، ثم قال :

ـــ وهذا الكهف ؟!

لوّح (طارق) بكفّه فى استهتار ، وقال :

ـــ لقد ابتعته من الحكومة المصرية ، ودفعت ثمنه نقدًا ، وهو ملك لى الآن ، ولا يحق لك أن ....

قاطعه (نور) فى صرامة :

ـــ إننى أمتلك كل الحقّ فى توجيه ما أشاء من أسئلة يا سيّد (طارق) .. وستجيبنى عنها صاغرًا ، أو أضطر لاستدعائك رسميًا ، لِتُدلىَ بكل ما لديْك فى إدارة المخابرات العلمية .

ظهر الحنق على وجه (طارق) ، وبدا لحظة وكأنه سينفجر فى وجه (نور) ، ولكنه لم يلبث أن تمالك أعصابه ، واستعاد هدوء ملامحه ، وهو يقول :

ـــ ماذا تريد بالضبط أيها الرائد ؟

أجابه (نور) :

ـــ أريد إجابة واضحة لسؤالىَ يا سيِّد (طارق) .

ساد الصمت وهلة ، ثم لوَّح (طارق) بكفّه ، وقال :

ـــ لقد كان ذلك منذ زمن طويل ، كنت أنت أيامها لم تتجاوز مرحلة الطفولة بعد ، وكانت هناك قضية هزّت مصر كلها ، من أقصاها إلى أقصاها .

قال (محمود) فى اهتمام :

ـــ هل تقصد قضية عبدة الشيطان ؟

ابتسم (طارق) ، وقال فى خبث :

ـــ نعم .. إنها هى .

ثم استطرد فى هدوء :

ـــ كان الكل يتحدَّث عنها ، والعالم أجمع يتابع أخبارها فى اهتمام ، وهنا برزت فى ذهنى فكرة استثمار هذه الدعاية المجانية .. فانتظرت حتى تم فحص الكهف ، وتقدمت بطلب لشرائه ، وحصلت عليه بمليون جنيه مصرى ـــ فى ذلك الحين ـــ وفى غضون شهر واحد افتتحت هذا الملهى ، الذى أدرّ علىَّ أرباحًا طائلة ، فقد كان كل إنسان فى مصر والعالم متلهفًا ،

لمشاهدة كهف عبدة الشيطان .. وقبل أن ينقضى العام كنت قد ربحت مليون جنيه إضافيًا .

تنهَّد وكأنه يتذكَّر أحداثًا سعيدة ، ثم استطرد :

ـــ هذا هو كل ما فى الأمر أيها الرائد .

كان التفسير منطقيًا للغاية ، مما جعل الصمت يسود تمامًا ، إلى أن قال (نور) فى هدوء :

ـــ هذا يكفى يا سيِّد (طارق) .

تابع (طارق) أفراد الفريق ببصره وهم ينصرفون ، ثم التفت إلى (شوق) ، وقال فى لهجة تشفُّ عن غضبه وحنقه :

ـــ هذا الرائد المتغطرس يحتاج إلى تلقينه درسًا يا (شوق) .

ثم استدار إلى صورة الشيطان ، وانحنى فى احترام عجيب .

* * *



٦ ـــ الحـادث ..

تطلَّع محافظ (السويس) إلى الرائد (نور) ورفاقه فى حَيْرة ، ثم نهض من خلف مكتبه ، وشبك أصابع كفَّيه خلف ظهره ، وسار إلى نافذة حجرته يتأمَّل المدينة ، التى امتدت أمامه بجمالها وأناقتها ، وقال دون أن يلتفت إليهم :

ـــ إن ما تطلبونه أمر عسير للغاية أيها السادة .

تبادل أفراد الفريق النظرات ، ثم أجابه (نور) فى هدوء :

ـــ ليس عسيرًا إلى الحدِّ الذى يمنعنا من أدائه يا سيِّدى .. فكل ما نطلبه هو قائمة بأسماء الأشخاص ، الذين أثروا من استغلال قضية عبدة الشيطان .

استدار إليه المحافظ يسأله فى حِدَّة :

ـــ ولكن لماذا ؟

ابتسم (نور) ، وأجاب فى لهجة شديدة التهذيب :

ـــ معذرة يا سيِّدى .. ولكن عمل المخابرات العلمية وتقاليدها ، يمنعان الإفشاء بالأسباب .

مطَّ المحافظ شفتيه فى ضيق ، وقال وهو يشيح بوجهه مرة ثانية إلى النافذة :

ـــ لن يفيدك سوى (منير) إذن .

سأله (نور) فى اهتمام :

ـــ من (منير) ؟!

أجابه المحافظ :

ـــ (منير محروس) .. مدير قسم الوثائق والكمبيوتر .. إنه شاب نابغة فى عمله ، ويستطيع منحك هذه القائمة فى لحظة واحدة .. اذهب إليه ، فهذا أقصى ما يمكننى عمله لك .

* * *

خطا أفراد الفريق فى هدوء ، إلى حجرة قسم الوثائق ، وأشار مرافقهم إلى رجل فى السابعة والثلاثين من عمره ، نحيل ، له شعر مجعَّد كثيف ، ومنظار طبِّىّ أنيق ، انهمك فى مراجعة بعض المعلومات فوق شاشة الكمبيوتر ، وقال :

ـــ هذا هو السيِّد (منير) .

اقترب (نور) وحده من (منير) ، وقال فى هدوء :

ـــ كيف حالك يا سيِّد (منير) ؟

انتفض (منير) من مقعده ، وأدار رأسه إلى (نور) فى

حركة حادَّة ، ثم أسرعت أصابعه توقف الكمبيوتر ، وهو يقول فى حِدَّة :

ـــ من أنت ؟ وكيف دخلت إلى هنا ؟

ابتسم (نور) فى وُدٍّ ، وهو يقول :

ـــ الرائد (نور) من المخابرات العلمية يا سيِّد (منير) .. ولقد حضرتِ لزيارتك فى عمل رسمىّ .

عدَّل (منير) منظاره الطبِّىّ فوق أنفه ، وقال فى عصبيَّة :

ـــ وماذا تريد منِّى المخابرات العلمية أيها الرائد ؟

أجابه (نور) فى هدوء :

ـــ أريد قائمة بأسماء الأشخاص ، الذين أثْروا من استغلال قضية عبدة الشيطان ، منذ عشرين عامًا .

تطلَّع إليه (منير) فى دهشة ، وغمغم :

ـــ عشرون عامًا .. هذه مدة طويلة للغاية ، لقد كنت أنا فى السابعة عشرة حينذاك .

قال (نور) فى هدوء :

ـــ هل يمكنك معاونتنا فيما نطلب ؟

عاد (منير) يعدل من وضع منظاره الطبِّى ، وأجاب وقد استعاد هدوءه :

ــ كل شيء ممكن أيها الرائد .. كل شيء ممكن .

ثم أعاد تشغيل الكمبيوتر ، وداعب أزراره فى مهارة وحنكة ، وسرعان ما ارتسمت على شاشته الفيروزية قائمة من ثلاثة أسماء ، ألقى عليها (منير) نظرة سريعة ، وقال :

ــ إنها قائمة مختصرة للغاية أيها الرائد .. تضم فقط (طارق عثمان) صاحب ملهى الشيطان ، و (قدرى توفيق) صاحب شركة البلاستيك ، و (أسامة منصور) الجراح الشهير .

سألته (سلوى) فى اهتمام :

ــ وكيف أثرى صاحب شركة بلاستيك ، وجراح شهير من قضية عبدة الشيطان ؟

ابتسم (منير) ، وقال :

ــ لقد أنتج (قدرى) عددًا لا بأس به من الأقنعة ، التى تحمل وجه الشيطان يا سيِّدتى .. كما أن أربعة من منافسيه سقطوا بين رجال الأعمال العشرة ، الذين شملتهم القضية .. أما الدكتور (أسامة) فقد اكتسب شهرته من الجراحات الناجحة ، التى أجراها لضابط الشُرطة ، الذى أوقع بعبدة الشيطان ، والتى أنقذه فيها من موت محقق .

صمت (نور) طويلًا ، وشاركه رفاقه الصمت ، ثم قال فى هدوء :

ــ شكرًا يا سيِّد (منير) .. لقد عاونتنا كثيرًا .

* * *

انطلق (نور) بسيارته إلى مصانع شركة البلاستيك ، التى يملكها (قدرى) ، وهو يستمع إلى (رمزى) ، الذى يقول :

ــ أعتقد أنه يمكننا استبعاد الدكتور (أسامة منصور) .. فهو لم يسع إلى هذه الشهرة وإنما جاء الأمر بمحض الصُدفة .. فلو لم ينج والدك يا (نور) ، ما أصاب الدكتور (أسامة) شهرته هذه .

غمغم (نور) فى هدوء :

ــ ربما .

قال (محمود) فى اهتمام :

ــ ولكن لماذا تتصوَّر أن أحد المستفيدين من القضية هو المسئول يا (نور) ؟.. لماذا تستبعد تمامًا عودة تلك الجماعة الوثنية من عبدة الشيطان .

صمت (نور) لحظة ، وقال :

ــ هناك فكرة معينة تدور فى رأسى يا (محمود) ، وأنا أحاول التأكُد منها .

ثم استطرد فى لهجة مختلفة :

ــ أعتقد أن الأمور كلها ستتبيَّن بعد قليل .. فها قد وصلنا إلى المصنع .

تطلَّع الجميع إلى المصنع الضخم ، الذى بدا من بعيد ، ثم قال (رمزى) مداعبًا :

ـ خفِّف من سرعتك قليلًا أيها القائد .. فبهذه السرعة التى تنطلق بها سنرتطم حتمًا بالمصنع .

انتظر الجميع تعليق (نور) على عبارة (رمزى) ، ولكنه لم يفعل ، ولم يخفِّف من سرعة السيارة ، التى كانت تندفع كالصاروخ نحو المصنع ، المقام فى نهاية ممرّ جبلى ضخم ، فصاحت (سلوى) :

ـ يا إلهى !!.. خفِّف من سرعة السيارة حقًّا يا (نور) .. إنك تثير فى قلبى الفزع .

أجاب (نور) فى لهجة متوتِّرة ، وهو يعقد حاجبيه عن آخرهما :

ـ هذا مستحيل يا (سلوى) .. لقد أفسد بعضهم (فرامل) السيارة .

تطلَّع الجميع فى ذهول إلى جدران المصنع ، التى تقترب بسرعة هائلة ، ثم أطلقت (سلوى) صرخة فزع ، وهى تخفى وجهها بذراعيها ، انتظارًا للحادث ، وللموت المحتَّم .

* * *

٧ ـ ضحكة الشيطان ..

اندفعت سيارة (نور) الصاروخية تعبُر حاجز الأمن المحيط بالمصنع ، وتحطَّم القائم المعدنى الصغير له ، وارتفعت صفارات الإنذار ، وصرخات رجال الأمن ، وهم يشاهدون السيارة ، التى بدت وكأنها ستتحوَّل بعد لحظة واحدة إلى أشلاء متناثرة ، بركابها الأربعة ، حينما تصطدم بجدران المصنع ...

ولكن عقل (نور) كان يعمل فى كفاءة ..

كان يقدِّر خطورة الموقف ، وصعوبته ، ولكن هذا لم يفقده اتزانه ، أو هدوء أعصابه ..

قدَّرت عيناه اتساع ساحة المصنع فى سرعة البرق ، وحسب عقله احتمالات الخطر فى دوران مفاجئ .. ثم اتخذ قراره ..

مال بالسيارة فجأة إلى أقصى اليسار ، ثم أدار عجلة قيادتها إلى اليمين فى قوة ، فدارت السيارة نصف دورة ، مثيرةً عاصفة من الغبار ، وارتفعت عجلاتها اليمنى عن الطريق ، حتى بدت لحظة وكأنها ستنقلب رأسًا على عقب ، ثم عادت العجلات تلمس

الأرض ، فى صرير مزعج ، واندفعت السيارة تعبُر حاجز الأمن مرة أخرى ، إلى خارج المصنع ، وصرخت (سلوى) فى رعب :

ـــ يا إلهى !!.. لقد نجونا .

صاح (نور) وهو ينطلق بالسيارة فى الطريق الذى يواجهه :

ـــ ليس بعد يا عزيزتى .. ما زلنا ننطلق بسرعة أربعمائة كيلومتر فى الساعة ، ودون كوابح على الإطلاق .. لقد نجونا حقًّا من الارتطام بالمصنع ، ولكن الموقف لم يفقد خطورته بعد .

شحبت وجوه أفراد الفريق ، والسيارة تنطلق فوق شريط ساحلى ، خاص بالقيادة الصاروخية ، يرتفع الجبل إلى يُمناه ، ويبدو البحر أسفل يُسراه ، على ارتفاع عشرة أمتار تقريبًا ، وساد صمت مخيف داخل السيارة ، إلى أن قطعه (محمود) صائحًا :

ـــ ماذا سنفعل ؟

أجابه (نور) فى هدوء ، بدا للجميع مخيفًا :

ـــ لست أدرى .. إن السيارة تعمل بالوقود الذرّى ، ولن تتوقَّف قبل عدة سنوات ، لو أننا اعتمدنا على نفاد الوقود .. ثم إننا ننطلق الآن نحو مدينة السويس ، حيث الأحياء المزدحمة ، ولن يمكننا مواصلة السير بهذه السرعة هناك .

هتفت (سلوى) :

ـــ هل تعنى أنه لا أمل لنا ؟

صمت (نور) لحظة ، ثم قال :

ـــ هناك أمل واحد يا (سلوى) .

ثم انحرف بالسيارة فجأة ، وصرخت (سلوى) ، عندما رأتها تندفع خارج الطريق ، إلى حيث يبدو البحر بمياهه الزرقاء ..

* * *

شقَّت السيارة الهواء بسرعتها البالغة ، حتى بدت كطائرة صغيرة وقطعت مائة متر كاملة فى خطٍّ مستقيم ، قبل أن تندفع وسط البحر ، وصاح (نور) :

ـــ تشبثوا بمقاعدكم يارفاق .

ومع آخر حروف كلماته ، ارتطمت السيارة بسطح البحر ، وشقته كزورق بخارى قوى قبل أن تبدأ الغوص إلى الأعماق ، وعجلاتها ما زالت تدور ...

صاح (نور) ، وهو ينزع حزام الأمان من حول وسطه .

ـــ أسرعوا يارفاق .. سنغادر السيارة قبل أن تتحول إلى قبر مائى لنا .



شقت السيارة الهواء بسرعتها البالغة ، حتى بدت كطائرة صغيرة وقطعت مائة متر كاملة فى خط مستقيم ..

حلَّ الجميع أحزمة مقاعدهم فى سرعة ، ثم ضغط (نور) زرًّا صغيرًا فى (تابلوه) السيارة ، فانزاح سقفها ، واندفعت منه المياه إلى الداخل ، وأحاط (نور) وسط زوجته بذراعه ، واندفع يشق المياه إلى السطح ، وإلى جواره يسبح (رمزى) و (محمود) ، على حين غاصت السيارة فى هدوء عجيب إلى الأعماق ..

لم تكد وجوههم تبرز فوق سطح الماء ، حتى التقط كل منهم شهيقًاقويًا ، وصاح (محمود) وهو يضرب الماء بذراعيه :

ــ يا إلٰهى !!.. وأنا الذى كنت أخاف البحر فى السابق(*) .

عاون (نور) زوجته على الوقوف فى الماء ، وقال وهو يتأمل الشاطئ ، الذى يبعد عنهم مائة وخمسين مترًا :

ــ أعتقد أننا نستطيع السباحة إلى الشاطئ يا رفاق .. وحينئذ فقط ، نستطيع أن نقول : إننا قد نجونا من هذا الحادث .

لم يكد يتم عبارته ، حتى خُيِّل إليهم أنهم يسمعون صوت ضحكة شيطانية مخيفة .

(*) راجع قصة (مدينة الأعماق) .. المغامرة رقم (٣) .

ضحكة انبعثت من أعماق البحر ..

* * *

امتلأ ذلك الجزء من البحر بعربات الشُرطة ، والإسعاف ، والإنقاذ المائى ، واقترب أحد رجال الشُرطة من أفراد الفريق ، الذين انهمكوا فى تجفيف ملابسهم ، وقال :

ـــ لقد أبلغنا المصنع بالحادث على الفور ، والتقطت أجهزتنا ما حدث ، فهرعنا إلى هنا لإنقاذكم ، ويبدو أننا وصلنا فى اللحظة المناسبة .

ثم أشار إلى (محمود) مستطردًا :

ـــ لقد كان صديقكم هذا يوشك على الغرق .

أومأ (نور) برأسه موافقًا ، وقال :

ـــ إنه لا يجيد السباحة تمامًا ، ولكنه كان قادرًا على الوصول إلى الشاطئ ، لولا أن أثار شىء ما رعبه ، مما أصاب عضلاته بالتصلُّب .

نظر إليه رجل الشُرطة فى دهشة ، وقال :

ـــ شىء أثار فى نفسه الرُعب ؟.. ماذا تعنى ؟

مطَّ (نور) شفتيه ، وقال :

ـــ إننى لا أعنى شيئًا بعد أيها الضابط .

ثم أشار إلى حيث غرقت السيارة ، وأردف :

ـــ ولكن كلامى سيحمل الكثير ، بعد انتشال هذه السيارة الغارقة ، ففيها يكمن حل جزء كبير من اللُغز الذى نواجهه .

* * *

كان الظلام قد حلَّ تمامًا ، حينما انتشلت السيارة من مكمنها ، وتم حملها إلى الشاطئ ، وأخذ (نور) يفحصها فى اهتمام .. ثم لم يلبث أن التقط من أحد أجزاء محركها أسطوانة صغيرة ، رفعها بين أصابعه قائلًا :

ـــ أعتقد أن هذه القطعة الصغيرة هى المتسبِّبة فيما سمعنا يا رفاق .

التقط (رمزى) الأسطوانة ، وقلَّبها بين أصابعه فى اهتمام ، وهو يقول :

ـــ هل تعنى أن ذلك الصوت الشيطانى مسجَّل عليها ؟

أومأ (نور) برأسه ، قائلًا :

ـــ ليس لدىَّ شك فى هذا يا (رمزى) ، فهى مثبَّتة بحيث تعمل تلقائيًا ، حينما يتوقَّف المحرِّك عن العمل .. وأعتقد أن دوران المحرِّك هو الذى يمنحها طاقة العمل ؛ لذا فهى لم تكن تعمل قبل أن نقود السيارة إلى هنا .

تفرّس (رمزى) فى الأسطوانة لحظة ، ثم غمغم :

ــ يا إلهى !!.. هذا يعنى أن (طارق) هو المتهم الوحيد إذن .

سأله (نور) فى اهتمام :

ــ لماذا ؟

أجابه (رمزى) :

ــ لأننا لم نكن قد أفصحنا عن هدفنا إلّا له ، ولم نكن قد قابلنا (قدرى) بعد .

ابتسم (نور) ، وقال :

ــ لست أعتقد الأمر بهذه السهولة يا (رمزى) .

ثم عاد يلتقط الأسطوانة من يده ، قائلًا :

ــ إن وضع هذه الأسطوانة يؤكد أننا تعرّضنا لحادثين مختلفين يا (رمزى) ، فالشخص الذى أفسد (فرامل) السيارة ، لم يكن يتوقّع نجاتنا أبدًا .. أما ذلك الذى أضاف الأسطوانة للمحرّك ، فقد كان يبغى إبلاغنا رسالة محدودة ، وهى أن عبدة الشيطان مازالوا يسيطرون على الموقف .. وباختصار ، لقد تعرّضنا لحادث يبغى مصرعنا ، وآخر يبغى إرهابنا فحسب .. وهذا يعنى وجود معتديَيْن لا واحد .

سألته (سلوى) ، وهى تعقص شعرها خلف رأسها :

ــ وهل تصادف أن يعمل الاثنان فى آن واحد ؟

هزّ (نور) كتفيه ، وقال :

ــ ربّما .

ثم التفت إلى رفاقه ، وقال :

ــ أعتقد أنه ينبغى أن نواصل رحلتنا إلى مصنع البلاستيك ، لزيارة (قدرى) يا رفاق .. ولكننا سننقسم فريقين ، سأذهب أنا و (رمزى) إلى المصنع ، فى حين يذهب (محمود) و (سلوى) إلى ملهى الشيطان .

قالت (سلوى) فى غضب :

ــ ولماذا لا أذهب أنا معك ؟

أجابها فى هدوء :

ــ لأنك و (محمود) تبدوان أكثر شبابًا منّى و (رمزى) .. وهذا يعنى أن أحدًا لن يلحظ وجودكما ، وسط الشباب الذين يذهبون إلى مثل هذه الأماكن ، وأنا فى الوقت نفسه أحتاج إلى وجود (رمزى) معى ، كخبير نفسانى ، وأنا أواجه (قدرى) .

قالت فى حنق :

— وماذا سنفعل فى ملهى ليلى ؟.. إننى أكره مثل هذه الأماكن .

تأملها (نور) لحظة ، ثم قال :

— ستحصيان عدد الرُّوّاد يا عزيزتى .. فلو أن النظرية التى تدور فى ذهنى صحيحة ، فسيعنى هذا أن الشيطان يلاقى كسادًا هذه الأيام يا (سلوى) .. كسادًا يدفعه للقتل .

* * *



٨ ـ ثمن الشَّرّ ..

نهض (قدرى توفيق) من خلف مكتبه يصافح (نور) و (رمزى) ، وتأمَّلهما بعينيه الزرقاوين ، وهو يقف أمامهما بقامته المديدة ، وملامحه القاسية ، وشاربه الضخم ، وشعره الأسود الكثيف ، الذى تناثرت فيه عدَّة شعيرات بيضاء ، وقال فى هدوء :

— أنت إذن الرائد ، الذى حطَّم حاجز الأمن هنا .

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

— لقد كنت مضطرًا يا سيِّدى ، وستتحمَّل المخابرات العلمية كل التكاليف .

أطلق (قدرى) ضحكة عالية عجيبة ، وقال وهو يلوِّح بكفِّه :

— لا عليك أيها الرائد .. لقد تم إصلاح كل شىء ، ويمكنكم اعتبار هذا هدية منِّى للمخابرات العلمية .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يتأمَّل فى الرجل بنظرات فاحصة ، ثم قال :

— لقد حضرت لمقابلتك من أجل ....

قاطعه (قدرى) فى هدوء :

— من أجل قضية عبدة الشيطان .. أليس كذلك ؟

هتف (رمزى) :

— كيف عرفت ؟

أطلق الرجل ضحكته العجيبة مرة ثانية ، وقال :

— السويس كلها تتحدث عن ذلك أيها الرائد .. فالأخبار تنتشر بسرعة فى المدن الصغيرة .

سأله (نور) فى برود :

— ومن الذى أخبرك أنت ؟

رفع (قدرى) حاجبيه ، وقال :

— هذه أسرار المهنة أيها الرائد .

ساد الصمت لحظة ، ثم قال (نور) :

— لماذا أنتجت أقنعة الشيطان يا سيِّد (قدرى) ؟

هزَّ (قدرى) كتفيه ، وأجاب :

— لو أنك مكانى لفعلت المثل أيها الرائد .. لقد كان مصنعى يعانى كسادًا شديدًا ، ثم احتلت القضية مانشيتات الصحف ، وأصبحت حديث الجميع .. ونشر رسام مغمور

صورة للوجه الشيطانى ، فراودتنى فكرة استغلال الموقف ، وأنتجت الأقنعة ، وربحت ما مكَّننى من إنشاء هذا المصنع الضخم الذى تراه .. إنها لُعبة تجاريَّة فحسب أيها الرائد .

غمغم (نور) فى برود :

— لُعبة حقيرة .

حدَّق (قدرى) فى وجهه لحظة ، ثم أطلق ضحكته العجيبة ، وقال :

— وما الذى جعلك تصفها بهذا الوصف المقيت أيها الرائد ؟

أجابه (نور) فى حِدَّة :

— لأنها كذلك بالفعل .. إن عبادة الشيطان شىء مقيت كافر ، ومن الحقارة نشر الإعجاب به ، عن طريق تصنيع أقنعة تحمل وجهه ، أو إقامة ملهى يحمل اسمه .

احتقن وجه (قدرى) غضبًا ، ولوَّح بذراعه قائلًا :

— إنها أقل الألعاب حقارة فى عالم التجارة أيها الرائد .. فهناك من البشر مَنْ يبيع روحه للشيطان ، فى مقابل صفقة ماليَّة رابحة .. وأنا لم أسرق أحدًا ، بل استغللت المال فى توسيع مصنعى ، وعاونت العشرات على إيجاد عمل شريف ، ودخلت صناعتى عصر التكنولوجيا ..

قاطعه (نور) فجأة :

ــ مهلًا يا سيِّد (قدرى) ، ماذا تعنى بدخول صناعتك عصر التكنولوجيا ؟

أشار (قدرى) فى عصبيَّة إلى شاشة فيروزية تجاور مكتبه ، وقال :

ــ انظر إلى هذا .. كل شىء هنا يدار بالكمبيوتر ، ولم يكن هذا مألوفًا منذ عشرين عامًا .

التفت (رمزى) إلى (نور) ، الذى بدا شديد الاهتمام بما يسمعه ، وتساءل عن سرّ اهتمامه الشديد هذا ..

ولكن (نور) نهض فجأة ، وقاطع (قدرى) قائلًا :

ــ يكفينى هذا يا سيِّد (قدرى) ..

ثم أسرع بالانصراف ، وخلفه يهرول (رمزى) ، وهو لا يعى شيئًا مما يحدث .

* * *

تأمَّل (رمزى) فى ملامح (نور) ، التى تنمّ عن تفكير عميق ، وهو يقود سيارته ، ثم سأله فى اهتمام :

ــ فيم تفكِّر يا (نور) ؟

أجابه (نور) فى عمق :

ــ فى تكنولوجيا الكمبيوتر يا (رمزى) .

سأله فى دهشة :

ــ ماذا يعنى هذا ؟

أجابه (نور) فى شرود :

ــ يعنى أننا نحتاج إلى معرفة الكثير من قسم الوثائق .

أوقف (نور) سيارته فى هذه اللحظة أمام قسم الوثائق ، وهبط منها على عجل ، وهو يسأل الحارس :

ــ أين السيِّد (منير محروس) ؟

أجابه الحارس فى دهشة :

ــ لقد انصرف يا سيِّدى .. إنه لا يعمل حتى هذا الوقت المتأخر .

هتف (نور) فى سخط واضح :

ــ يا للخسارة !! لقد كنت أحتاج لاستشارته فى أمر معقَّد ، يتعلَّق باستخدامات الكمبيوتر .. هل هناك من يمكننى استشارته غيره .

تردَّد الحارس لحظة ، ثم أجاب :

ــ بالطبع ، ولكن السيِّد (منير) هو أكثر الجميع مهارة ، فهو عبقرىّ .

سأله (نور) فى اهتمام :

ـــ منذ متى وهو يعمل هنا ؟

أجابه الحارس :

ـــ منذ سبعة عشر عامًا يا سيِّدى ، ولقد كان نابغة منذ البداية .

هزَّ (نور) رأسه ، وقال :

ـــ حسنًا ، سأحاول تأجيل الأمر إلى الصباح .

ولما عاد ينطلق بسيارته سأله (رمزى) :

ـــ هل تشك فى أمره أيضًا ؟

أجابه (نور) فى غموض :

ـــ ليس بعد يا (رمزى) ، سأخبرك بالأمر بعد أن نلتقى بـ (محمود) و (سلوى) ، فى ملهى الشيطان .. الذى أعتقد أنه محطتنا الأخيرة يا صديقى .

* * *

زفرت (سلوى) فى ضيق ، وهى تتأمَّل الصخب حولها ، ثم غمغمت فى سخط :

ـــ يا له من مكان بغيض !! يبعث على الاشمئزاز .. ماذا يتوقَّع (نور) أن نجد هنا ؟

أجابها (محمود) :

ـــ أعتقد أنه كان يتوقَّع كسادًا ، ولكننى أرى الملهى ممتلئ عن آخره .

مطَّت (سلوى) شفتيها فى ازدراء ، وقالت :

ـــ هذا يعنى أن أخلاقيات الناس قد انحدرت كثيرًا .

ابتسم (محمود) ، وقال :

ـــ أو أن التيسيرات التى أعطتهم إيَّاها الحضارة ، قد أصابتهم بالملل .

قالت فى حنق :

ـــ بل قُلْ بالخمول .

لم يمنعها سخطها من تأمُّل حزمات اللَّيزر الملوَّنة ، التى شكلت لوحة رائعة فى سقف المكان ، حتى بدت كشلال مقلوب من الضوء ، لم يفسده إلَّا صورة وجه الشيطان الضخمة ، التى تملأ مسرح الملهى ، والتى بدت ملائمة تمامًا لتلك الرقصات الجنونية ، التى يتمايل بها الشباب العابث ، الذى يملأ المكان ..

كان المكان بحق صورة لانتصار الشيطان ، فغمغمت (سلوى) فى غضب :

ـ كم أود قتل كل هذا الشباب العابث ، الذى يُهْدِر قدرته فى هذا المكان الموبوء .

ضحك (محمود) ، وقال :

ـ لو أن (رمزى) سمعك لصاح بأنهم مرضى ، يحتاجون إلى العلاج و ....

قاطعه صوت ساخر يقول :

ـ هذا صحيح يا رجل المخابرات العلمية .

استدار (محمود) و (سلوى) فى دهشة إلى مصدر الصوت ، فطالعهم وجه (طارق) بابتسامته الساخرة ، وهو يلوّح بكفّه مردفًا :

ـ وهنا يجدون علاجهم .

صاحت (سلوى) :

ـ فى الفساد ؟!

ضحك فى سخرية ، وقال :

ـ هم الذين اختاروه ، ولم يدفعهم أحد للحضور .

همّت (سلوى) بمناقشته فى حِدّة ، إلّا أنه أوقفها بإشارة من يده ، وهو يقول :

ـ إذا كان هذا المكان لا يعجبكما ، فلِمَ لا نذهب إلى مكان هادئ ؟

عقدت (سلوى) حاجبيها فى شك ، فى حين سأله (محمود) :

ـ أين ؟..

أجابه (طارق) فى مرح :

ـ فى مكتبى .. تفضلا على الرّحب والسّعة .

تبادل (محمود) و (سلوى) نظرة مستريبة ، ثم غمغم (محمود) :

ـ لا بأس .

قادهما (طارق) إلى مكتبه ، وهو يواصل الحديث فى مرح ، ودفع باب المكتب ، وانحنى فى نفاق ، وهو يشير إليهما بالدخول ، فدلفا إلى المكتب فى هدوء .. وقالت (سلوى) حينما أغلق (طارق) باب مكتبه :

ـ هل تحتفظ به دائمًا مظلمًا هكذا ؟

أطلق (طارق) ضحكة ساخرة ، وقال :

ـ نعم .. وهو عازل للصوت أيضًا .

ثم أضاء المكتب ، ولم يكد يفعل حتى تراجع (محمود) و (سلوى) فى ذعر ، واحتبست صرخة رعب فى حلق (سلوى) ، فأمامهما كان يقف ظل متّشح بالسّواد ..

كان الشيطان نفسه ..

* * *



واحتبست صرخة رعب فى حلق (سلوى) ، فأمامها كان يقف ظل متشح بالسواد ..

٩ ــ لقاء مع الشيطان ..

مضت لحظة ثقيلة ، مخيفة ، و (محمود) و (سلوى) يحدّقان فى الوجه البشع للشيطان ...

لحظة ثقيلة حتى أنها جثمت على أنفاسهما فى قوة ، وكادت تنتزع منهما الحياة ..

ثقيلة .. ثقيلة .. ثقيلة ..

وعينا الشيطان تلتمعان ببريق أحمر مخيف ..

مخيف إلى حدّ الموت ..

ووجهه يحمل بشاعة الجحيم ، وسواد الليل ..

ليل الفزع والرعب ..

ثم صرخت (سلوى) ..

انطلقت أخيرًا تلك الصرخة الحبيسة فى صدرها ..

انطلقت عالية مدوّية ، ثم سقطت هى فاقدة الوعى ..

أما (محمود) ، فقد التصق بالحائط ، وهو يرتجف فى رعب هائل ، على حين انحنى (طارق) فى احترام شديد أمام الشيطان ، وقال :

— لقد أتيت بهما يا سيّد عالم الظلام .

لم يتكلم الشيطان ..

لم ينطق بكلمة واحدة ..

فقط رفع يده فى بطء ، وأشار بها إلى الحائط ، فانفتح إلى نصفين ، وظهر خلفه ممر طويل ، تضيئه الشموع ، وفى نهايته منصّة صخرية ، تلوّثها الدماء ، وفى صوت عميق ، قال (طارق) :

— ستسيل دماؤكما اليوم ، من أجل الشيطان .

تسمّر (محمود) من شدة رعبه لحظة ، ثم دفعته غريزة البقاء إلى الهجوم ..

هاجم الشيطان .. وكاد يطبق على عنقه براحتيه ، لولا أن هوت على رأسه ضربة قويّة ، فترنّح ، وأظلمت الدنيا أمامه ، ثم سقط فاقد الوعى ، تحت قدمى الشيطان ، اللّتين تشبهان أقدام الماعز ...

* * *

أوقف (نور) سيارته بجوار ملهى الشيطان ، وهبط منها فى اللحظة التى هتف فيها (رمزى) :

— سيارتك هذه رائعة يا (نور) من يراها وهى تنطلق بهذه

الكفاءة ، لا يتصوّر أبدًا أنها قد انتشلت من قرار البحر ، منذ ساعات قلائل .

غمغم (نور) فى هدوء :

— إنها التكنولوجيا يا صديقى .. التكنولوجيا التى هى محور قضية الشياطين هذه .

تبعه (رمزى) إلى الملهى ، وهو يقول فى حَيْرة :

— عباراتك كلها تنطوى على ألغاز عجيبة يا (نور) .

ابتسم (نور) ، وقال :

— سيتضح لك كل شىء عندما نوقع بالمتهم الحادى عشر يا (رمزى) .

توقّف (رمزى) عن السيْر ، وهتف فى دهشة :

— المتهم الحادى عشر ؟!.. أهذا لغز جديد يا (نور) ؟.

توقّف (نور) بدوره ، وقال :

— ألا تذكر قصة والدى ، عندما هاجم عبدة الشيطان يا (رمزى) .

هتف (رمزى) بمزيد من الحَيْرة :

— لقد كانوا عشرة رجال فقط يا (نور) .

أومأ (نور) برأسه ، وقال :

— هؤلاء هم عبدة الشيطان يا (رمزى) ، ولكن الكهف كان يضم أحد عشر شخصًا .

عقد (رمزى) حاجبيه ، وهو يسأله :

— أتقصد الشيطان نفسه ؟

أجابه (نور) فى لهجة غامضة :

— بل أقصد ذلك الوغد الزِّنديق ، الذى خدع الجميع ، وأدار اللُّعبة كلها ... أقصد المتهم الحادى عشر يا صديقى .

* * *

دخل (نور) و (رمزى) إلى الملهى ، دون أن يتبادلا كلمة أخرى زائدة ، وتطلّع (نور) إلى الملهى المزدحم ، وغمغم :

— يبدو أن الشيطان سيعود ليلقى رواجًا ، بعد أن نشر خبر بحثنا عنه فى البلدة .

قال (رمزى) فى ضيق :

— (نور) .. أفصح عما يدور فى رأسك بالله عليك .

ابتسم (نور) فى هدوء ، وهو يدور بعينيه فى أنحاء المكان ، ثم لم تلبث ابتسامته أن تلاشت مع انعقاد حاجبيه ، وهو يقول :

— أين (سلوى) و (محمود) ؟

بحث عنهما (رمزى) بدورِه ، ثم غمغم :

— إنهما لا يبدُوَان فى أىّ مكان ، لعلهما انصرفا أو ....

قاطعه (نور) فى توتُّر :

— كلّا يا (رمزى) .. إن (سلوى) تعلم أننى سأعود إلى هنا ، وهى لن تنصرف قبل حضورى .

كان من الواضح أن (نور) متوتِّر للغاية ، وأن اختفاء زوجته يثير فى نفسه غضبًا هائلًا ، وبدا هذا شديد الوضوح ، عندما اندفع نحو العامل البدين (شوق) ، وجذبه من سترته فى خشونة ، وهو يسأله فى صرامة :

— أين زوجتى أيها الوغد ؟

استدار إليه (شوق) فى برود ، وقال :

— هل من المفروض أن أعلم أين هى أيها الرائد ؟.

كان (نور) — فى العادة — يواجه هذا البرود بمزيد منه ، ولكنه فى هذه اللحظة كان يعانى الخوف ..

الخوف على مصير زوجته ..

أورثه خوفه هذا خشونة ، جعلته يدفع (شوق) فى قوّة ، قائلًا :

— اذهب بى إلى مكتب (طارق) .

دفع (شوق) يد (نور) بعيدًا ، وقال فى غضب :

— بأىّ حقّ تأمرنى بذلك .

وفى حركة سريعة ، انتزع (نور) مسدسه اللّيزرىّ من سترته ، وغرسه فى كرش (شوق) الضخمة ، وهو يقول فى صرامة :

— هل يكفى هذا ؟

ومن العجيب أن (شوق) لم يخف ، وإنما ابتسم فى سخرية ، وقال :

— حسنًا أيها الرائد .. ما دامت تملك كل هذا القدر من الإقناع .

ثم سار فى هدوء إلى حجرة مكتب (طارق) ، وفتحها وهو يشير إلى الداخل ، قائلًا :

— تفضلا ، على الرّحب والسّعة .

خطا (نور) و (رمزى) فى سرعة إلى الحجرة ، ثم توقفا بغتة ، فقد كانت خالية من البشر تمامًا .. فالتفت (نور) إلى (شوق) ، وسأله فى حنق :

— أين رئيسك ؟

هزّ (شوق) كتفيه فى استهتار ، وأجاب :

— إنك لم تسألنى عنه .. لقد طلبت منّى أن أذهب بك إلى مكتبه فحسب .

دفع (نور) باب الحجرة ، وأغلقه فى قوة ، ثم جذب (شوق) من سترته فى قوّة ، وسأله فى غضب :

— حسنًا .. أنا أسألك الآن .. أين هو ؟

أجابه (شوق) فى برود شديد :

— لم يحضر بعد .

ظلّ (نور) يحدّق فى عينى (شوق) لحظة ، ثم دفعه إلى أريكة إسفنجية فى ركن المكتب ، وانتزع من ساعته قرص التصنُّت الصغير ، فى حين قال (رمزى) :

— مهلًا يا (نور) .. أنت تتعامل بخشونة شديدة .. رُوَيْدك .

بدا (نور) وكأنه لم يسمع كلمة واحدة ممّا قاله (رمزى) ، وأخذ يتطلّع إلى جدران المكتب فى اهتمام عجيب ، ثم اندفع نحو الجدار القائم خلف المكتب الأنيق ، المواجه لباب الحجرة ، وأخذ يثبّت به القرص ، فصاح به (رمزى) :

— ماذا تفعل يا (نور) ، بالله عليك ؟

صاح (نور) ، وهو منهمك فى تثبيت القرص :

ــ هذا المكتب له جدران يا (رمزى) .. ثلاثة منها تطلّ على قاعة الملهى ، والرابع يواجه صخور الكهف .. ولو أن (سلوى) و (محمود) هنا ، فهم يحتجزونهما فى مكان سرّىّ ولا ريب .. وهذا الجدار هو الوحيد ، الذى يحتمل وجود ممر سرّىّ خلفه ، ولو أن هذا صحيح فسينقل لنا قرص التصنُّت هذا كل الأصوات ، التى تنبعث خلف الجدار ، حتى ولو كان الجدار نفسه من مادة عازلة للصوت .

اتسعت عينا (شوق) وهو يستمع إلى (نور) ، وغمغم فى صوت وحشىّ شرس :

ــ إنك لن تفعل هذا أيها الرائد .

تجاهله (نور) تمامًا ، وقد ازداد يقينه بوجود ممرّ خفىّ خلف الجدار ، ولكن (شوق) انتصب فجأة كَذِئبٍ هائج ، واندفع نحو (نور) ، وهو يصرخ فى جنون :

ــ إنك لن تفسد حفل الشيطان .

اندفع (رمزى) محاولاً إيقاف (شوق) .. ولكن هذا الأخير هوى على معدة (رمزى) بلكمة قويّة ، شهق لها (رمزى) فى ألم رهيب ، قبل أن يعقبها (شوق) بأخرى كالقنبلة

أصابت فكّ (رمزى) ، فألقته إلى الوراء ، حيث ارتطم بالجدار ، وسقط على الأرض فاقد الوعى .

تطلّع (نور) فى ذهول إلى (رمزى) ، الذى سال خيط من الدم من ركن فمه ، ثم رفع عينيه إلى (شوق) ، الذى أطلق صرخة تفيض جنونًا ، ثم هوى بقبضته على المكتب ، فشقّه نصفين ، ثم وقف يواجه (نور) ، وعيناه تبرقان فى وحشية عجيبة ..

كان (نور) يواجه هذه المرّة رجلًا ، يمتلك قوة تفوق البشر ..

رجلًا من صنع الشيطان نفسه ..

* * *



١٠ ـــ صنيعة الشَّيطان ..

تملَّك الذُّهول (نور) لحظة ، أمام تلك القوة الخارقة ، التى بدت فجأة على رجل ، لا ينمّ مظهره على أى نوع من القوة ، مثل (شوق) ..

استغرق ذلك الذهول لحظة واحدة ، ثم تراجع (نور) إلى الجدار ، واستعد لمقاتلة صنيعة الشيطان هذا ..

كان (شوق) هو الذى بدأ القتال ، بصرخة قتالية قوية ، ثم اندفع نحو (نور) ، وكال له لكمة خارقة ، تفاداها (نور) بأن قفز جانبًا ، ولكن اللَّكمة أصابت الجدار ، فبدا وكأنه يرتجف لها فى ذعر ..

وقفز (نور) عَبر المكتب المحطَّم ، ولكن (شوق) استدار فى سرعة مذهلة ، وقبض على جسد (نور) فى الهواء ، ثم طوَّح به فى قوة ، فارتطم جسد (نور) بالجدار ، وسقط أرضًا ، ونهض وهو يلهث ، ويتساءل عن كيفية مواجهة خصم مذهل كهذا ..

قفز (شوق) مرة أخرى نحو (نور) ، الذى دفع جسده جانبًا ، ليتفادى جسم (شوق) الثقيل ، ثم قفز واقفًا أمامه على قدميه ، واندفع يتعلق بعنق (شوق) من الخلف ، ولكن ذلك البدين أطلق زمجرة جنونية مخيفة ، وأدار ذراعيه خلف ظهره ، وانتزع (نور) كما ينتزع ونشٌ ضخم دراجةً صغيرةً ، ثم عاد يقذف به إلى الحائط ..

ارتطم (نور) بالحائط ، وشعر بكل عظامه تؤلمه فى شدة ، وحاول أن ينهض ، ولكن آلامه عاقته عن النهوض ، فى حين اندفع (شوق) نحوه ، وهو يطلق زمجرة مخيفة ، ويمد راحتيه إلى عنق (نور) ، وكأنما ينوى اعتصاره بقبضته الخارقة ..

وفجأة .. تذكَّر (نور) مسدسه اللِّيزرىّ ..

كان قد نسى وجوده من شدة ذهوله ، وبسبب طبيعته التى تأنف العنف والقتل والدمار ..

ولكنه فى هذه اللحظة كان مضطرًا لاستخدام العنف ..

من أجل حياته ..

من أجل (سلوى) ..

من أجل القضاء على كل شرور الشيطان ..

وفى سرعة خارقة ، انتزع (نور) مسدسه ، وأطلق دفقة من أشعة اللِّيزر على رأس (شوق) تمامًا ..

كان (شوق) يندفع نحوه ، عندما اخترقت الأشعة جمجمته ، وعَبَرتها إلى الناحية الأخرى .. وخُيّل لـ (نور) لحظة أن (شوق) لم يلق مصرعه ، فقد واصل اندفاعه ، دون أن تسقط ذراعاه ، وهوى فوق (نور) ، الذى أصابه الذهول التام ..

كانت هذه هى أول مرة ، يواجه فيها بشريًا لا يهزمه الموت ..

* * *

شعر (نور) بثقل شديد يجثم على صدره ، ويعُوق أنفاسه ، ففتح عينيه وهو يلهث ، لتطالعه عينا (شوق) البارزتان ، وهما تحدّقان فى عينيه ..

ارتجف جسد (نور) لحظة ، ثم انتبه إلى أن العينين خابيتان .. لا أثر فيهما للحياة ، وأن الدّماء تسيل من ثقب فى جبهة (شوق) لتلوّث ثيابه ..

كان صنيعة الشيطان قد لقى مصرعه ، وسقط بجسده البدين فوق (نور) ..

لقى مصرعه فى اللحظة المناسبة تمامًا ..

جاهد (نور) ليدفع جسد (شوق) عنه ، ثم نهض وهو يلهث ، ويتطلّع إلى جسد البدين فى ذهول ، ثم انتبه إلى مهمته



ارتطم (نور) بالحائط ، وشعر بكل عظامه تؤلمه فى شدة ، وحاول أن ينهض ، ولكن آلامه عاقته عن النهوض ..

الأصلية ، فنفض ذهوله ، وتطلع إلى الجدار ، ثم أسرع إليه ، وأدار قرص التصنُّت ، وسرعان ما انبعث منه صوت عميق يقول :

— واسيّدى الشيطان .. واسيّد عالم الظلام .. يا من منحتنا القوة والثروة .. على مذبحك نريق الدم .. من أجل مزيد من القوة ، ومزيد من الثراء ..

أثارت الكلمات فى نفس (نور) مزيجًا من الخوف والغضب والاشمئزاز ..

لقد شعر بكراهية شديدة لذلك التدلُّه والمديح ، لأكبر قوى الشرّ فى العالم ، وبالاشمئزاز من وجود مثل هؤلاء الكفرة الزنادقة ، والخوف من طبيعة هذه الدماء التى ستراق ..

تفجرّ خوفه إلى ذروته ، حينما نقل إليه جهاز التصنُّت صوتًا مرتجفًا يصرخ :

— لا .. لا .

كان صوت (سلوى) ..

* * *

صرخة من حنجرة (سلوى) ، أثارت الجنون فى قلب (نور) ..

صرخة زوجته ، حطّمت فى قلبه كل الخوف والتوتُّر والذهول ..

أخذ يدقّ الجدران بقبضتيه فى قوة ، وهو يصرخ :

— توقَّفوا أيها الكفرة .. توقَّفوا أيها الشياطين .

كشف فى سرعة عدم جدوى ضرباته للجدار الصلب ، فدار بعينيه فى لهفة ، بحثًا عمّا يحطّم به الجدار ، ثم استقرت عيناه على جثة (شوقى) ، وغمغم فى عصبيّة :

— لا ريب أن هذا الوغد يحمل فى طيّات ثيابه ما يفيد .

اندفع نحو جثة (شوقى) ، وأخذ يبحث فى جيوبه فى لهفة ، حتى عثر على جهاز صغير يحوى أربعة أزرار ، فى حجم بطاقة شخصية ، فرفعه إلى وجهه ، وتأمّله بعينى خبير ، ثم غمغم فى لهفة :

— واحد من هذه الأزرار الأربعة يصل بى إلى هدفى ، وينبغى اختياره فى دقّة ، فالله (سبحانه وتعالى) وحده يعلم ما يمكن أن يؤدّىَ إليه الضغط على زرٍّ خاطئ .

تردّد لحظة ، وأصابعه تتنقل فوق الأزرار ، ثم تنهّد فى قوة ، وقال :

— إنه صراع مع عبدة الشيطان ، ولن يخذلنى الله (عز وجل) فى اختيارى هذا .

ثم انطلقت سبّابته إلى واحد من الأزرار الأربعة ، وضغطه فى حسم ..

* * *

لحظة رهيبة مرّت على (نور) كدهر كامل ، ما بين ضغطته على الزّرّ ، واللمحة الأولى من اهتزاز الجدار ، وبدء انفراجه إلى قسمين ..

تحرّك الجدار فى بطء ، كاشفًا ممرًا طويلًا ، فى آخره وقف تسعة رجال يتّشحون بالسّواد ، وظهورهم إلى (نور) ، وفى نهاية الممرّ جلس ذلك الظل ، الذى يحمل وجه الشيطـــان ، فوق عرش حجرى ، كعروش الرومان القدماء ، وأمامه وقف (طارق) ، فى عباءة سوداء قاتمة ، وهو يمسك بقبضتيه خنجرًا ملتويًا ، ذا نصل لامع حاد ، وهو يرفع ذراعيه إلى أعلى .. استعدادًا لإغماده فى صدر فتاة ، تمدّدت فوق منصّة حجرية ، وقد قيّدت أطرافها إلى أطراف المنصّة ، وإلى جوارها شاب يحاول التخلّص من قيوده فى قوّة ..

كانت الفتاة (سلوى) ، وكان الشاب (محمود) ..

وهوى (طارق) بخنجره على صدر (سلوى) ، وصرخ (نور) :

ـــ لا .. ليس هى .

وارتج المكان بضحكة شيطانية مخيفة .

* * *

١١ ـــ عـــودة التاريخ ..

توقّفت يد (طارق) فى منتصف المسافة ، قبل أن يمس النّصل اللامع صدر (سلوى) ، واستدار الرجال العشرة إلى حيث يقف (نور) وعيونهم تبرق ببريق الشرّ والوحشيّة ، فى حين التمعت عينا الشيطان ببريق دموى أحمر ، وكأنه يعلن استياءه ، من تلك الدّماء التى حُرمها ..

شعر (نور) فى أعماقه بالخوف لحظة ، ولكن صلابته لم تلبث أن تغلّبت على خوفه ، فنصب قامته فى اعتداد ، وقال فى صرامة :

ـــ لو مسّها أحدكم بسوء ، فلن تكفينى دماؤكم جميعًا ثمنًا لقطرة واحدة من دمها .

ظهر الغضب فى وجوه الرجال العشرة ، واستلّ كل منهم من غمده خنجرًا عجيب الشكل ، وتحرّكوا نحو (نور) ، فى اللحظة نفسها التى أُغلق فيها الحائط من خلفه ..

عشرة رجال فى مواجهة رجل واحد ..

عجبًا !! إنه نفس الموقف ، الذى واجهه والد (نور) منذ عشرين عامًا .

كان المشهد يتكرَّر ..

كأن التاريخ يعيد نفسه لأول مرة ..

* * *

انطلقت فجأة صرخة قويَّة ، من حناجر الرجال العشرة ، واندفعوا كلهم ، كالثيران الهائجة نحو (نور) ، وخناجرهم تلتمع بالموت فى قبضاتهم .. واختلطت صرختهم بصرخة (سلوى) الملتاعة .. وتراجع (نور) إلى الحائط ، واستعاد ذهنه فى سرعة البرق رواية والده ، فانتزع مسدسه الليزرىَّ ، وصوَّبه إليهم ، وأطلق أشعته الزرقاء القاتلة ..

يا للعجب !!.. تمامًا مثلما حدث لوالده .. أصابت خمس دفقات أهدافها ، وتهاوى خمسة من عبدة الشيطان ، فى حين واصل الخمسة الآخرون اندفاعهم نحو (نور) ، الذى تفادى نصلًا قاتلًا ، وأطلق دفقة أخرى من الأشعة ، اخترقت عنق الرجل السادس ، فى اللحظة نفسها ، التى غاص فيها نصل آخر فى كتفه ، فأدار (نور) ذراعه السليمة ، الممسكة بالمسدس فى سرعة ، وهوى بمسدسه على رأس أحد الرجال الأربعة الباقين ،

ولكن المسدس تحطَّم ، دون أن يصاب الرجل بسوء .. وتحرَّك (نور) جانبًا ، لتتمزَّق سترته بفعل خنجر آخر ..

الآن أصبح (نور) وحده ، فى مواجهة أربعة رجال ، تفوح رائحة الشر من أنفاسهم ، ويطل الموت من عيونهم ..

أربعة رجال يحرِّكهم الشيطان كالدُّمَى ..

وتحرَّكت قبضة (نور) ..

هوَت بكل ماتملك من قوة على عنق أحد الرجال ، فحطَّمت حنجرته فى صوت مسموع ، ثم ارتدَّت إلى رجل آخر لتهشِّم أنفه .. ولكن الرجل الثالث قفز إلى الأمام ، واندفع خنجره إلى صدر (نور) ، الذى قفز جانبًا ، وترك النَّصل يتحطَّم على الجدار الصلب ، ثم دفع قدمه فى معدة الرجل ، الذى سقط إلى الوراء ، لينغرس خنجر (طارق) فى ظهره ..

يا له من قتال وحشى بغيض !!

ويا له من موقف !!

قاتل (نور) كالأبطال ، ولم يعد أمامه سوى (طارق) ، الذى افترَّ ثغره عن ابتسامة وحشيَّة ساخرة ، وهو يتأمَّل الجرح العميق فى كتف (نور) ، والذى تنزف منه الدماء فى غزارة ، وقال :

ــ لقد هزمت تسعة رجال أيها الرائد ، ولكنك لم تهزمنى .. سيسلبك خنجرى حياتك .

ثم اندفع نحو (نور) ، الذى مال جانبًا ، وركل الخنجر ركلة قوية ، أسقطته من قبضة (طارق) ، الذى ابتسم فى شراسة ، وقال :

ــ هل تفضّل القتال بالأيدى العارية إذن ؟.. لا بأس أيها الرائد .. لا بأس .

ثم انقضَّ فجأة على (نور) وقبض على وسطه فى قوة ، وحمله كما تحمل الأم صغيرها إلى أعلى ، ثم قذف به إلى وسط القاعة ..

سقط (نور) على الأرض ، ونهض فى صعوبة ، وهو يقاوم آلام جسده ، على حين اقترب منه (طارق) مرة ثانية ، وهو يقول :

ــ هل أدهشتك القوة الخارقة ، التى أتمتع بها ؟.. إنها هبة الشيطان للمخلصين له .

صاح (نور) فى غضب :

ــ الشيطان لا يهب الخير أبدًا أيها الزّنديق .. أنتم ضحية خدعة دنيئة .. أفق لنفسك قبل أن تخسر كل شىء .

أطلق (طارق) ضحكة عالية ، مجلجلة ، وانقضَّ مرة ثانية على (نور) .. وقبل أن يقفز (نور) متفاديًا ذلك الانقضاض ، أحاطت قبضتى (طارق) بعنقه ، ورفعه هذا الأخير عاليًا ، وهو يواصل إطلاق ضحكاته الجنونية المخيفة ، ويقول :

ــ كيف ترى الأمر أيها الرائد ؟.. ألم تختنق بعد ؟

كان (نور) يشعر حقًّا بالاختناق ، وكان عليه أن يقاوم هذا الشعور البغيض ..

وفى حركة أودعها كل قوته ، ركل أنف (طارق) فى قوة ، فتأوّه هذا الأخير ، وترك (نور) ..

أسرع (نور) إلى حيث تمدّد الرجال التسعة ، واندفع نحوه (طارق) ، وهو يصرخ فى غضب :

ــ إنك لن تنجو منّى .. لن تنجو أبدًا أيها الرائد .

ثم قفز نحو (نور) ، وقد قرّر أن يقتله هذه المرة ..

* * *

كان الشر يتمثّل بأقصى صوره فى ملامح (طارق) ، وهو يقفز نحو (نور) ، وتحرّكت يد (نور) فى سرعة ، وارتطم جسد (طارق) بـ (نور) ، وانبعثت فى المكان حشرجة مخيفة ..

كان (نور) قد التقط أحد الخناجر ، وأغمده فى صدر (طارق) ، الذى اتسعت عيناه فى ألم ، وحدّق فى وجه (نور) بدهشة ، ثم دفعه الغضب إلى محاولة الإمساك بعنق (نور) ، الذى تراجع فى سرعة ، فهتف (طارق) فى حنق :

ــ اللّعنة .. لقد قتلتنى .

ثم هوى بين قدمى (نور) ، مسلوب الرُّوح ، منطلقًا إلى الجحيم .

حيث يقطن سيّده ..

حيث يقطن الشيطان ..

تصلّب جسد (نور) فى مكانه لحظة ، وهو يتأمّل أجساد الرجال العشرة فى ألم ..

لم يكن يتصوَّر أنه هو الذى فعل كل هذا ..

هو بطبيعته النافرة من العنف بكل صُوَرِه ، حطَّم عشرة رجال ..

كان مستغرقًا فى تصوّره هذا ، حينما سمع صوتًا قاسيًا يقول :

— إنك لم تنتصر بعد أيها الرائد .

رفع (نور) عينيه إلى مصدر الصوت ، فطالعه الشيطان بوشاحه الأسود الكئيب ، وبوجهه البشع البغيض ، وهو يرفع خنجرًا حادًّا فوق صدر (سلوى) ، ويقول بصوته العميق المخيف :

— لا أحد ينتصر على الشيطان .. لا أحد أبدًا .

* * *

١٢ ـ المتهم الحادى عشر ..

لم يبد على (نور) أى أثر للفزع أو الخوف ، وهو يتطلّع إلى الشيطان ، الذى يرفع خنجره فوق صدر زوجته ، وكأنما استنفد (نور) كل ما فى قلبه من خوف ، ومن العجيب أن صوته جاء هادئًا للغاية ، وهو يقول للشيطان :

— من قال : إنه لا أحد ينتصر على الشيطان .. كل الشُرفاء والمخلصين ، والمحاربين من أجل دينهم ، أو أوطانهم ، أو مبادئهم ، انتصروا على الشيطان .

ومن الأعجب أنه ابتسم فى سخرية ، وهو يستطرد :

— ولكن الشيطان الذى انتصروا عليه ليس من السذاجة ، حتى يبدو لهم فى صورة ماديّة صريحة ، كما تفعل أنت .. إنه أذكى من ذلك ، فهو يتسلّل إلى أعماقهم .. إلى قلوبهم ومشاعرهم ، ويُوَسْوِس لهم بالشرّ ، ولكنهم يزجرون قلوبهم ، وينهرون مشاعرهم ، وينتصرون عليه .

جاء دور الشيطان لتحمل نفسه بعض الدهشة ، وليصرخ بصوته المخيف :

— هل تراهن بحياة زوجتك ؟

هزَّ (نور) رأسه نفيًا ، وقال فى هدوء :

— أنا لا أراهن على شىء .. فالمراهنات أيضًا صنيعة الشيطان .

ثم أردف فى لهجة ساخرة :

— أليس كذلك يا سيِّد (منير) ؟

هتفت (سلوى) فى ذهول :

— (منير) ؟!

على حين غمغم (محمود) :

— يا إلهى !! لم أعد أفهم شيئًا .. لم أعد أفهم .

ساد الصمت لحظة ، ثم صاح الشيطان بصوته المخيف :

— أخطأت مرة أخرى أيها الرائد .

كان (نور) يشعر بدُوار شديد ، من جرَّاء الدم الذى ينزف من جرح كتفه ، إلا أنه واصل الابتسام فى سخرية ، وهو يقول :

— كلَّا يا (منير) .. أنت الذى أخطأت ، ولا تتصوَّر أبدًا أنك سترهبنى بجهاز التجسيم الصوتى ، الذى تخفيه خلف ذلك القناع المطاطىّ المضحك ، الذى ترتديه .. لقد نجحت

فى خداع الجميع منذ عشرين عامًا ، حينما ساعدتك عبقريتك فى عالم التكنولوجيا على خداع عشرة من رجال الأعمال ، وإيهامهم أنك الشيطان حقًّا .. أمَّا فى وقتنا هذا ، فلم تعد التكنولوجيا تخدع أحدًا .

ثم أردف فى برود :

— لقد كنت وغدًا زنديقًا ، وأنت فى السابعة عشرة من عمرك يا (منير) .. ولم تهتد بعد وأنت فى السابعة والثلاثين .. فأى شيطان يسيطر على عقلك ؟

مدَّ الشيطان كفَّه ، التى لا تمسك بالخنجر ، وانتزع ذلك القناع البشع الذى يغطِّى وجهه ، فظهر من تحته وجه (منير) النحيل ، وقال فى حنق :

— لم يخلق بعد من يسيطر على عقل (منير محروس) .. إننى أكثر أهل هذا العصر عبقريَّة ونبوغًا .

أجابه (نور) فى هدوء :

— وشرورًا أيضًا يا (منير) .. إننى أعترف لك حقًّا بالعبقرية .. فلقد نجحت فى إيهام عشرة من رجال الأعمال بخدعتك البشعة ، ربما باستخدام بعض التقنية التكنولوجية المتطوِّرة ، لحساب أفضل الصفقات لهم .. لقد أيقظت

الشيطان الكامن فى نفوسهم ، وجسَّمته فى صورة صنعتها أنت بفكرك ، وتكنولوجيتك ، التى لم تكن معروفة أو مألوفة منذ عشرين عامًا .

ساد الصمت لحظة ، ثم سأله (منير) :

ـــ كيف توصَّلت إلى كل هذا ؟

هزَّ (نور) كتفيه ، وأجاب :

ـــ لست أدرى !!.. لقد كنا نتحدَّث مع (قدرى توفيق) صاحب شركة البلاستيك ، حينما قال فى معرض كلامه : إن التكنولوجيا لم تكن مألوفة منذ عشرين عامًا .. وهنا تصوَّرت أنا أن عبدة الشيطان القدامى ، كانوا ضحية لخداع تكنولوجى يفوق تصوُّراتهم العقلية .. ولست أدرى لم قفزت صورتك بالذات إلى ذهنى .. أعتقد أنه توفيق من الله (سبحانه وتعالى) حتى يقضى على شرورك بواسطتى .

افترَّ ثغر (منير) عن ابتسامة شيطانية ، فى حين استطرد (نور) :

ـــ لقد كنت أنت المتهم الحادى عشر فى القضية ، التى كشف غموضها والدى قديمًا ، ولكنك انتهزت فرصة صراعه مع أوغادك العشرة ، وفررت إلى هذا المقر السِّرِّى ، الذى كنت قد أعددته فى مهارة بالغة ، على الرغم من صغر سنِّك فى ذلك الحين .. وقرَّرت التوقُّف عن عملك ، بعد أن تم القضاء على مموليك العشرة ، الذين غمروك بالأموال ولا شك ، وكنت تحمل فى ذلك الوقت وزر دماء رجال الدين الثلاثة ، الذين أمرت أتباعك بقتلهم ، لتعمق داخلهم الإيحاء بأنك الشيطان نفسه .. ولا شك أن هذه الأموال كانت من الضخامة ، حتى أنها ساعدتك على إجراء أبحاثك الخاصة لعشرين عامًا كاملة .. حتى استنفدت مواردك ، فقرَّرت أن توقظ الشيطان من سُباته مرة أخرى ، ولكن الزمن تطوَّر ، ولم تعُد التكنولوجيا تُبهر أحدًا ؛ لذا فقد استخدمت آخر اختراعاتك .. ذلك الذى يمنحهم قوة خارقة .. وأظن أن (طارق) و (شوق) كانا أول ضحاياك ، ولا ريب أن القوة التى امتلكاها قد بهرتهما ، وأكَّدت لهما أنك الشيطان نفسه ، ولكنك كنت تعلم أن المال هو أكثر ما يبهر البشر ؛ لذا فقد تعمَّدت تهديد والدى ، أملًا فى انتشار الخبر ، مما يعيد إلى ملهى الشيطان رواجه ، وتعود إليك الأموال التى تحتاج إليها لتمويل أبحاثك الشيطانية .

قال (منير) فى قسوة :

ـــ خطأ .. كان يمكن لـ (طارق) و (شوق) أن يحطِّمانى بعد أن أعطيتهما القوة .

ابتسم (نور) ، وقال :

ـــ أنت أذكى من أن تتركهما يفعلان ذلك يا (منير) .. لابدّ أن مفعول ذلك الشيء الذى يمنحهم القوة محدودٌ ، مما يجعلهما يحتاجان إليك باستمرار ، ثم إنك أقنعتهما تمامًا بأنك الشيطان نفسه .. فمن ذا الذى يفكّر فى محاربة الشيطان ؟

ساد الصمت لحظة ، ثم قال (منير) :

ـــ أهذا كل ما لديك ؟

مطّ (نور) شفتيه ، وقال :

ـــ هذا يكفى حسبما أعتقد ، فقد خدعنى غباء أتباعك كثيرًا ، حينما دفعت (شوق) إلى إفساد (فرامل) سيارتى ، وتركيب تلك الأسطوانة ، التى تبعث الضحكات الشيطانية .. فقد أخطأ هو ، بحيث أصبحت تعمل مع توقُّف المحرّك ، وليس مع السرعة الفائقة كما كنت تريد أنت .

غمغم (منير) :

ـــ هذا صحيح .. لقد أردتكم أن تسمعوا ضحكات الشيطان ، وأنتم تواجهون الموت ، لا بعد نجاتكم منه .. ولكنه هذا الغبىّ .

قال (نور) فى سخرية :

ـــ كل من يتبعون الشيطان أغبياء يا سيِّد (منير) .

ظهر الغضب فى عينى (منير) ، وهو يقول :

ـــ لم أكن أتوقَّع أن أقابل من هو فى مثل ذكائى ، فأنا عملة نادرة ، يندر وجود بديل لها فى عصر واحد .. لقد كنت عبقريًا فى علم الكمبيوتر والإلكترونيات .. وأنا بعد فى السابعة عشرة من عمرى ، ولكن أحدًا لم يلتفت إلى ذلك ، لمجرَّد أننى صغير ، فقررْت أن أتفوّق على الجميع .. وفى موجة من الغضب ، ابتدعت وجود الشيطان ، ولقد أدهشنى كثيرًا سرعة تصديق رجال الأعمال لخدعتى ، لمجرَّد أننى أمنت لهم بضع صفقات رابحة ، حصلت أنا منها على عشرة ملايين من الجنيهات ، قبل أن يقتحم والدك حياتى ، ويضطرنى إلى التوقُّف .. وبعد ثلاث سنوات ، التحقت بالعمل فى قسم الوثائق ، بعد أن تم إدخال النظام الآلى فيه لأول مرة ، حيث ظللت سبعة عشر عامًا أجرى حساباتى على أجهزة الكمبيوتر هناك ، دون أن ينتبه أحد إلى ذلك ، وكنت أتصوَّر أن الملايين العشرة لن تنضب أبدًا ، ولكن الأبحاث المتعدِّدة التى أجريتها ، كانت تحتاج إلى تكاليف باهظة .. وأخيرًا وجدت نفسى مفلسًا ، بعد أن كنت قد نجحت فى اختراع إكسير القوة ، وكان لا بدّ لى من مزيد من الأموال .

قاطعه (نور) فى هدوء :

ـــ يبدو أن قِصَّتَيْنا تتوافقان كثيرًا يا (منير) .. فلقد نبَّهتنى أنت الآن إلى النقطة ، التى جعلت صورتك بالذات تقفز إلى ذهنى ، ألَّا وهى سرعة إغلاقك لجهاز الكمبيوتر ، الذى كنت تعمل عليه ، عندما قابلناك فى قسم الوثائق .. فمن المفروض أن هذا القسم لا يحوى أسرارًا خطيرة ، وإنما مجرَّد تصنيف وتعداد وتوثيق لسكان المدينة ، إلَّا إذا كانت المعلومات المرتسمة على الشاشة تخالف ذلك ، أو أنها أسرار خاصَّة بك أنت ، ومن الخطير أن تطلع عليها غيرك .

برَقت عينا (منير) ببريق شرس ، وأمسك مقبض الخنجر بكلتا قبضتيه ، وقال وهو يرتجف من فرط الانفعال :

ـــ فليكن أيها الرائد .. لقد توصَّلت إلى الكثير ، ولكنك لن تهزمنى .. اركع على ركبتيك أمامى ، واطلب الصفح ، أو أغمد هذا الخنجر فى صدر زوجتك .

تطلَّع (محمود) و (سلوى) إلى (نور) فى حَيْرة ، فلقد كان من العسير عليهما استنباط رد فعل (نور) .. فلقد كان عليه أن يتنازل عن واحد من أعز شيئين فى حياته .. كرامته ، أو زوجته ..

وكان عليه أن يختار ..

* * *

١٣ ـــ الاختيار ..

نقَّل (نور) بصره فى توتُّر ، بين النصل اللامع فى قبضتى (منير) ، ووجه (سلوى) ، الذى يشفُّ عن رعب هائل ..

ثم قرَّر أمرًا ..

وفى هدوء ركع (نور) ..

ركع على ركبتيه أمام الشيطان ..

وارتجت جدران الكهف بضحكة شيطانية مجلجلة ، تفوح بالظفر والانتصار ..

ضحكة من فم شيطان يحمل اسم (منير محروس) ..

ولكن ضحكته لم تكتمل ..

لقد انتصب (نور) فجأة ، وقذف شيئًا ما نحو (منير) ..

ورأت (سلوى) خنجرًا لامعًا يشقُّ الهواء ، ثم ينغرز فى كتف (منير) ، الذى تحوَّلت ضحكته إلى صرخة ألم ، وهو يتراجع ، ويسقط الخنجر من قبضتيه ، وشاهدت (نور) يندفع كالصاروخ ، ويعبُر جسدها الممدَّد فوق المنصَّة الصخرية بقفزة رائعة ، ثم يسقط فوق (منير) ..

وفجأة .. رأت (منير) ينتصب واقفًا ، ويحمل (نور) إلى أعلى ، والخنجر ما زال منغرزًا فى كتفه ، وسمعته يصرخ فى ضحكة شيطانية ، ارتجف لها قلبها رعبًا :

ـــ يا لك من غبىّ أيها الرائد !! هل كنت تتصوّر أننى سأمنح الجميع القوة ، وأحرم نفسى منها ؟.. هل خدعك جسدى الضئيل ؟.. هل نسيت كيف هزمتك فى سهولة ، حينما قاتلتك فى منزل أبيك ؟.. ولولا أننى كنت أنشد الشُهرة ، لحطّمت عنقك حينذاك .. أمّا الآن ، فسأحطّم ضلوعك .

قال هذا وهو يضغط صدر (نور) فى قوة ، وصرخت (سلوى) ، وهى تشاهد الألم الهائل ، الذى ارتسم على وجه زوجها .. صرخت وهى تهتف باسمه ، وصرخ (محمود) ، وهو يتصوّر أنه يشهد فى هذه اللحظة مصرع (نور) ..

وكادت ضلوع (نور) تتحطّم بالفعل ، لولا أن تردّد فى عقله فجأة صدى كلمات والده :

ـــ أنا أيضًا أكره العنف يا ولدى .. ولكن القضية ـــ فى تلك اللحظة ـــ كانت قضية اختيار ، فإما حياتى أو حياتهم .. لم يكن هناك بديل .

وغمغم (نور) فى أعماقه :

ـــ نعم .. ليس هناك بديل .

وفى حركة دفاعيّة أخيرة ، انتزع (نور) الخنجر المنغرز فى كتف (منير) ، وأغمده فى صدر هذا الأخير .. فى موضع القلب تمامًا ..

* * *

أقسم (محمود) و (سلوى) فيما بعد ، أنهما لن ينسيا هذا المشهد ، ما بقى لهما من عمر .. فقد جحظت عينا (منير) على نحو مخيف ، حينما غاب الخنجر حتى مقبضه فى قلبه ، وبدت عيناه فى لون الدم ، وهو يتطلّع إلى (نور) فى ذهول ، قبل أن تتراخى قبضتاه ، ويفلت (نور) منهما ، ثم ترنّح فى مكانه ، ورفع ذراعيه إلى سقف الكهف ، وأطلق ضحكة شيطانية عجيبة ، ثم سقط كلوح من الخشب على الأرض .. وساد فى المكان صمت رهيب ، دام دقائق طويلة ، قبل أن تسأل (سلوى) فى رعب :

ـــ هل مات يا (نور) ؟.. هل مات ؟

مضت دقيقة أخرى من الصمت ، قبل أن يجيب (نور) ، وهو يقاوم الدُوار الشديد ، الذى اعتراه :

ـــ نعم يا (سلوى) .. لقد رحل .. لقد لحق بالشيطان الأصلى فى غياهب الجحيم .

ثم أسرع يحلّ وَثاق يدها اليمنى ، ثم ترنّح ، وابتسم ابتسامة شاحبة ، وهو يقول فى ضعف :

ــ أعتقد أنه سيكون عليك تولّى باق الأمر يا عزيزتى .. فلم تعد ساقاى تقدران على حملى .

ثم هوَى فجأة فاقد الوعى .. إلى جوار جثة (منير) .

إلى جوار الشيطان ، الذى ذاق الهزيمة على يديه ، وذهب إلى أعماق الجحيم ، مشيَّعًا باللَّعنات .

* * *



١٤ ــ الختــام ..

سبح (نور) بجسده فى فراغ أسود عجيب ، ولم يعد يشعر بوزنه ، وتملّكه خوف عجيب ، وهو يدور بعينيه ، محاولًا اختراق الظلمة الكثيفة .. وفجأة .. اندلعت حوله نيران مستعرة ، ولكنه لم يشعر بحرارتها .. كانت نيرانًا باردةً كالثلج ، ومن وسطها برز (منير) فجأة ، ولكن ملامحه كانت تختلف .. كان أقرب إلى الشيطان ، ومن وسط شعره المجعّد الكثيف ، برز قرنان لامعان ، وابتسم ابتسامة شيطانية رهيبة ، كشفت عن صفّ من الأنياب البارزة الملوَّثة بالدماء ، وقال بصوته العميق المخيف :

ــ هل أدهشك وجودى أيها الرائد ؟.. هل أدهشك أننى حقًّا الشيطان نفسه ؟

شعر (نور) بثقل هائل يجثم على صدره ، وكاد يستسلم لمخالب الشيطان ، التى امتدت إليه ، لولا أن برز صوت (سلوى) فجأة من وسط الظُّلمة ، وهى تقول :

— لا تدعه ينتصر يا (نور) .. استيقظ .. استيقظ يا (نور) .

بحث عنها فى لهفة ، ولكنه لم يستطع رؤيتها ، فهتف :

— أين أنت يا (سلوى) ؟.. أين أنت ؟

عاد صوتها الحنون يقول :

— أنا هنا يا (نور) .. استيقظ .. استيقظ .

كانت نبرات صوتها تقترب ، وترتفع ، حتى أصبحت تدوّى فى أذنيه ، وشعر بجفنيه ثقيلين ، فأغلقهما ، ثم عاد يفتحهما .. وكانت المفاجأة ..

اختفى (منير) .. اختفت الظُّلمة والنيران .. تحوّل الجوّ المحيط بـ(نور) إلى مكان أنيق ، تسطع فيه الأضواء الهادئة ، ورأى وجه (سلوى) على بعد خطوات منه ، وسمعها تتنهّد فى سعادة ، وتهتف :

— حمدًا لله يا (نور) .. لقد استيقظت .

التقط كفها فى راحته ، وغمغم فى سعادة :

— (سلوى) .. ها نحن أولاء قد التقينا ثانيةً فى الدنيا .. أين (نشوى) ؟

تسلّلت إلى مسامعه صوت ضحكات ابنته الطفولية ، وسمع صوت والده يقول :

— ها هى ذى يا ولدى .. كلنا فى خير حال .. كيف حالك أنت ؟

ابتسم (نور) وهو يحتضن ابنته فى سعادة ، وقال :

— حمدًا لله يا والدى .. إننى لم أتصوّر بقائى حيًّا ، بعد كل هذه الأهوال ، التى رأيناها أمس .

سمع (نور) صوت ضحكة مرحة ، انبعثت من فم (رمزى) ، قبل أن يقول :

— أمس ؟!.. لقد كان هذا فى الأسبوع الماضى يا (نور) .

اتسعت عينا (نور) فى دهشة ، وهتف :

— يا إلهى !!.. هل فقدت الوعى أسبوعًا كاملًا ؟

ربّتت (سلوى) على شعره فى حنان ، وهى تقول :

— بل ثمانية أيام بالضبط يا (نور) .

عاد يغمغم فى دهشة :

— يا إلهى !!

ساد صمت عاطفى لحظة ، ثم قال الوالد :

— لقد شملتنا المخابرات العلمية برعايتها وحمايتها ، طوال مهمتكم يا ولدى .. ولقد جعلنا هذا نشعر بالأمن والراحة .

ابتسم (نور) ، وقال :

ـــ هذا دأب المخابرات العلمية دائمًا يا أبى .

ضحك الجميع فى مرح ، ثم سأل (رمزى) فى اهتمام :

ـــ هناك أمر ما زال يحيِّرنى يا (نور) .. إن النقاط التى توصَّلت بها إلى معرفة المتهم الحادى عشر ، ما زالت تبدو لى غير كافية ، فكيف حقًّا كشفت أمره ؟

صمت (نور) وهلة ، ثم هزَّ كتفيه ، ومطَّ شفتيه ، وهو يقول :

ـــ لست أدرى يا (رمزى) .. لقد كانت رَمْيَةً من غير رامٍ .

ثم ابتسم وهو يستطرد :

ـــ لقد كان توفيقًا إلٰهيًّا يا رفاق .. لقد ألهمنى الله (سبحانه وتعالى) .. الحل ، حتى لا يتمادى الشيطان فى غيِّه .

قال (محمود) ضاحكًا :

ـــ تقصد (منير) ؟!

بدا الشرود على وجه (نور) لحظة ، ثم واجه الجميع بعينيه ، قائلًا :

ـــ ربَّما يا (محمود) .. ربَّما .. ولكننى واثق أننا هذه المرة قد هزمنا الشيطان ، وحطَّمنا كل علامات الخوف .. حطَّمناها إلى الأبد .

* * *

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع ٣٢١٥